هرمس
بين مؤلفاته وما نسب إليه

كتاب «زجر النفس» لهرمز الحكيم
كما نشره الخوري فيلمون

تمهيد:

ليس من كتاب تضاربت فيه أقوال العلماء، وذهبت فيه كل مذهب مثل هذا الكتاب الذي لايعرف بالتحقيق واضعه ولازمان وضعه ولامكانه ولا لغته. مع أنه من الأهمية في مكان. تتلألأ من خلال سطوره أنوار حكمة الأولين، وتوفيقهم العقل على أمور الدين، وزجرهم النفس بمناهي العقل عن سفاسف الدنيا، لتسلك في جادة الحق وراء حقائق الآخرة.

وما اتصل إلينا من أهم نسخة:

نسخة (رومية) وجدت في مكتبة الفاتيكان، أحضرها السمعاني من الشرق فيما أحضره، يُنسب فيها الكتاب لهرمس الحكيم الفاضل.

ونسخة (لبسيك) من مدن ألمانيا، وهي أقدم نسخة كتبت بالخط الكوفي ونقلت إلى الألمانية.

ونسخة (أوبسال) من مدن الدانمارك، معجمة يظهر أنَّ ناسخها لم يكن يفهم ما يكتب وهي مبتورة.

ونسخة (بونة) من مدن سويسرا في مكتبة الأكاديمية، أتى بها من الشرق المعلم شلر، وهي مبتورة وفيها أيضاً نسخة أخرى تامة مكتوبة بالسريانية لا يعرف زمان نسخها.

ونسخة (باريس) في المكتبة العمومية ترتقي إلى الجيل الخامس عشر كتبها المعلم ذوثمبرغ[1].

ونسخة (ليون) نسخت في القسطنطينية سنة 1654 ينسب فيها الكتاب لأفلاطون.

ونسخة (المطران يوسف داود) المثلث الرحمات، نسخها إذ كان قساً وقدمها لمكتبة بربغندا، مع ما قدمه ينسب فيها الكتاب لأرسطاطاليس نسخها الأب قسطنطين الباشا.

---

(1) هو مستشرق أفرنسي وضع برنامج مكتبة باريس.

وقابلها على نسخة وجدت في صيدنايا وعلى أخرى وجدت مع أحد الرهبان المخلصين.

ونسخة (بغداد) وجدتها في مكتبة دير المخلص منذ تسع سنوات.

ونسخة (صور) وجدتها فيها منذ سبع سنوات بين كتب أحد المتطببين، وهي أضبط وأسد من أختها البغدادية.

وقد عني المستشرق أوتوبَرْدَنهوير بطبعه في مدينة (بونه) سنة 1873 مع ترجمته اللاتينية بعد أن قابله على سبع النسخ الأولى، وذكر في حواشيها ما اختلفت فيه النسخ، ومع كل ذلك فيها أغلاط عديدة لأن النُّسخ كلها يكثر فيها الخطأ والتقديم والتأخير وما شابه ذلك. فإن نسخة (بونه الثانية) مثلاً تجعل الفصول الثلاثة والأربعة فصلاً واحداً، ثم تأتي بفصل في غاية الإيجاز. إضافة إلى تداخل فصوله الواحد في الآخر، وهذا ما سبب فقد عنوان الفصول.

وعدا ما تحتوي هذه النسخ من الاختلاف والتراكيب الركيكة والمعاني المشوشة والألفاظ الغريبة، وتداخل الفصول، فإنها تختلف أيضاً في عنوان الكتاب، فبعضها يسميه (كتاب زجر النفس لهرمس المثلث الحكمة) والآخر (كتاب معاذلة النفس لأرسطاطاليس) وهذا كتاب (معاتبة النفس لأفلاطون) وغير ذلك.

وادعى بعضهم أن مؤلفه مسلم، بحجة أن بعض النسخ تذكر البسملة المعروفة عند المسلمين. وقال الآخر إنه مسيحي بالحجة نفسها لابتدائه في بعض النسخ بما اعتاده المسيحيون في صدور كتبهم. وقال الآخر إنه وضع في اللغة اليونانية في مصر مستنداً على أسماء هؤلاء الفلاسفة وإن هرمس مصري. وقالت العرب إنه تأليف عربي، لأسلوبه العربي ولعدم وجود أصل يوناني له أو غيره حتى إنه لم يأت أحد من الأعاجم على ذكره. وأما كتّاب العرب فإن كثيرين ذكروه كأبي البركات في (مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة) وصاحب كشف الظنون، وغيره، ما يدل على أنه وضع قبل القرن العاشر، ولكنهم لم ينسبوه لمؤلف عربي، بل أكثرهم نسبه لهرمس المثلث الحكمة، وعللوه بأن العرب تابعوا بعض الأحيان خطة اليونان في نسبة تآليفهم الحكمية لهرمس الذي ألّهوه وجعلوه محامي العلوم والحكمة.

ومهما يكن الأمر فإن تسابق كل أمة في نسبته إليها والاستئثار به دون سواها يدل على قدر الكتاب وأهميته وشدة اعتباره عند كلٍ منها.

وقد كانت النفس تنزع إلى استكشاف حقيقة بعض نسخه، حتى وقعت إليَّ، عفواً، في بيروت في هذه الأيام، العطلة المدرسية، فانتهزت الفرصة الوجيزة واستخلصت من جميع هذه النسخ البالغة اثنتي عشرة نسخةً أسدّ وأضبط وأشكل بأصلها. وقد علقت عليها شرحاً عند مسيس الحاجة وحواشي التقطت فرائدها من كتب القوم[1].

وكل من عنده اطلاع على هذا الكتاب ونسخه الغاصة بالأغلاط الفاحشة والاختلافات التي يضيع في مجاهلها فكر المتأمل الحائر إذْ يراها نكرة ولاتتعرّف. فلا تَندُّ عنه إذ ذاك يجزم بوعورة المشروع وصعوبته، ويحكم أنه لأسهل على الحائك حياكة ثوب جديد من رتق ثوب بال كثر فيه الفتق حتى لم تبق فيه لُحْمَة على سَدَى. فلاحمته قدر الإمكان وبذلت فيه جهد المستطاع. وإنما ذكرت ماذكرت لكي لا أحرم من جانب المعذرة نصيراً، ولا أعدم من عفو الكرام ظهيراً، والحمد لله أولاً وأخيراً.

* * *

(1) ككلّيّات أبي البقاء. وتعريفات الجرجاني وغيرهما.

زجر النفس
لهرمس الحكيم

وهو معاتبة النفس. وزجرها[1] عن الأمور السافلة. وحثها على مايلائمها ويشاكلها من الأمور العُلْويَّة[2] وقسرها[3] على الرجوع عما يؤذيها ويوكفها[4] وحضّها على مافيه استقامتها وصلاَحها. وقد أوضح الحكيم الدلائل والبراهين على ما شرحه من ذلك. ولم يقتصر على بسيط تفسير[5] المعنى، بل قد أغرق[6] في كشفه لكل أحد. ليس بتنميق اللفظ بل بما يقوم في العقل. ويقبله كل ذي لب[7] صحيح. إذ كان ذلك مما يردع عن الانحطاط في الشغف[8] بهذه الدنيا الفاتنة والتمسك بحبال غرورها. ويرشد إلى عمل الخير والإكثار منه، مما تقرب به من خالقها، وتزلف لديه، فنشكر نعمته التي لاتزول ولا انقضاء لمدتها، شكراً مستمراً[9].

* * *

(1) الزجر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمنع مما لايليق والدعوة إلى الحق. والنفس هي الشيء الذي يشير إليه كل واحد بقوله أنا. وهي الجوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية. وهي مجردة عن المادة قائمة بنفسها غير متحيزة مشتبكة بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر ومتعلقة به للتدبير والتحريك، قال أفلاطون وقوم من الأقدمين إنها قديمة. وقال أرسطو وأتباعه إنها حادثة وهو الصواب.

(2) العلوية: أي الرفيعة الشريفة.

(3) القسر: الإكراه والقهر.

(4) يوكفها: أي يوقعها في الإثم.

(5) التفسير: الكشف والإظهار بقول ليس إيضاحه البراهين والدلائل، بتفسير بسيط، بل بتحققها والجاً في كبد الحقيقة وبإثباتها بنتائج صادقة بضروب الأمثال.

(6) أغرق أي بالغ فيه والإغراق إفراط في وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة وهو فوق المبالغة.

(7) اللب هو العقل الخالص من الشوائب، أو هو ماذكى من العقل، فكل لب عقل ولا يعكس.

(8) الشغف أقصى الحب.

(9) مستمراً أي دائماً وثابتا.

الفصل الأول

يانفس تصوري[1] وتمثلي[2] ما أنا مورده لك من المعاني العقلية الموجودة وجوداً دائماً. فما تصورته فقد عقلته واقتنيته وتيقنته، كتيقنك أن الحيَّ جنس لنوع[3] الإنسان، وأن المتنفس جنس لنوع الحيّ، وأن الجسم جنس لنوع المتنفس، وأن الجوهر الأقصى[4] جنس لنوع الجسم. وكتيقنك أيضاً أن المستوي غير المعوج، وإن الكل أعظم من جزئه. وأن الماء يروي من العطش، وأنه بارد رطب بالطبع، وأن النار تحترق وتضيء[5]، وأنها حارة يابسة بالطبع[6]، وكل ماقد عقلته وشاهدته وشافهته[7] في عالم[8] العقل وعالم الحسّ. وما خفي عليك يانفس مما أنا مبينة لك فاستعملي فيه التمثيل العقلي المتقن الصحيح البريء من الاختلاط والاختلاف. فإنه سيدلك ظاهر ماشاهدته على باطن ما غاب عنك، كما استدل الناظر إلى الصورة الممثلة في الحائط على وجود المصور لتلك

---

(1) التصور حصول صورة الشيء في العقل. وهو إدراك الماهية بدون الحكم عليها بنفي أو إثبات. وبهذا يختلف التصور عن التصديق الذي هو إدراك الماهية مع الحكم عليها.

(2) أي تصوري مثاله واستعملي التمثيل، فيكون هنا التمثّل بمعنى التمثيل، والتمثيل إثبات حكم جزئي لثبوته في جزئي آخر لمعنى مشترك بينهما، كقولك العالم مؤلف فهو حادث كالبيت الذي هو حادث لأنه مؤلف، وهذا التأليف موجود في العالم فهو أيضاً حادث.

(3) الجنس اسم دال على كثيرين. وفي عرف المناطقة كلّ مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ماهو من حيث كذلك. والنوع اسم دال على كثيرين متفقين بالحقائق بالأشخاص في جواب ماهو. فالنوع هو نفس ماتحته من الجزئيات الذاتية له (أي داخلٌ فيها)، كالإنسان، فإنه نفسه، ماهية زيد وعمرو وبكر وغيره من جزئيات، وهي لاتزيد على الإنسان.

(4) الأقصى أي الأعلى الذي ماليس فوقه جوهر.

(5) وفي بعض النسخ وتنضج.

(6) فكأنه يقول إن ماأورده لك أيتها النفس في هذا الكتاب من المعاني العقلية الموجودة وجوداً دائماً إذا حصلت في عقلك، وهذا هو فعل العقل الأول، أي التصور، واستعملت في التمثيل الصادق (أي الفعل الثاني وهو التصديق)، فحينئذ تدركين ماهيتها، وتحكمين بضرورتها لك، وتجزمين بإفادتها تهذيبك (وهو الانتقال الفكري)، فتحرصين عَليها، وتقتنينها كما تقتنين ماتيقنت صدَقه من البديهيات (الأوليات) التي ذكرتها لك مما تحققته في عالم العقل وعالم الحس؛ أي من المعقولات والمحسوسات.

(7) شافهته أي دانيتَه واقتربت منه.

(8) العالَم عبارة عما يعلم به الشيء أي يقع به ويحصل كالخاتَم اسم لما يختم به، والقالب لما يقلب به، واصطلاحاً عبارة عن كل ماسوى الباري تعالى من الموجودات، لأنه يعلم به الله تعالى من حيث أسماؤه وصفاته، فالعالَم هو الخلق كله. وكل صنف من أصنافه (أي أصناف الخلق) هو عالَم.

الصورة. وكما استدل بما عاين من حركات يد وسرائر[1] تخطيطها وتشكيلها[2] على لطائف ماكان قائماً في فكره ونفسه[3]. وفي الجملة يانفس فإنه يستعمل التمثيل في كل الأشياء بالآثار الموجودة عند غيبة المؤثرين لها. ويستعمل التمثيل في الاعتبار والتعجيب مما قد ورد، ومما هو وارد، لامحالة، بضروب الأمثال على غائب الأشياء وشاهدها. فاستعملي يانفس التصور والتمثيل في كل الأشياء الموجودة عقلاً وحساً، واعلمي أن الشيء الذاتي بالحقيقة الأصلي النوري التام. وهو المفيد الحكمة اللطيفة والتمييزات الشريفة والحياة الدائمة وسائر الأشياء التي هي جزئيات له لا أجزاء وهو كليٌّ لها لا كل[4]. فاعتبري ذلك يانفس وتيقظي واحذري الغفلة والتواني واستعملي التهذيب والحذر من أوساخ الطبيعة. واستعيني على ذلك بالخضوع والرغبة إلى ينبوع الخير ومظهره، وأصل العقل ومبدعه، ومفيد الحياة والحكمة، والجود التام والرحمة، تحيي بذلك يانفس وتسعدي يانفس. إنَّ مبدع الأشياء ومبدئها[5] ومنشئها، جل جلاله وتقدست[6] أسماؤه، أبدعك وجعلك ذات تصور وتمثل[7]. فأما التصور فتصورك الشيء على حقيقة ما أبدعه مبدَعه. وأماَ التمثل فتمثلك ما خفي عنك معناه من عالمَ العقل بما شاهدته في عالم الحس مثلاً بمثل[8]، ومعنى بمعنى[9]، كمَا تدل الصورة

---

(1) سرائر جمع سريرة وهي السر الذي يكتم.

(2) أي تصويرها.

(3) وكذلك أنت يانفس استدلي بما تعاينين من حركات يد المبدع الحكيم في هذا العالم العظيم، فانظري إلى صور السماء وأشكال الحيوان وأصناف المبروءات، واستدلي أيضاً بما تعانين من حركات نفسك وأفعالها على لطائف ماهو قائم في العقل الإلهي، البديع المعاني الرفيع الصفات، ذي الحكمة السامية الأزلية والقدرة المدركة والجود غير المتناهي والحياة الدائمة.

(4) الكل اسم لجملة مركبة من أجزاء محصورة والمنسوب إلى الكل كلِّيٌّ. والمنسوب إلى الجزء جزئيَ. والجزء مايتركب الشيء منه من غيره، كما أن الحيوان جزء زيد، لأن زيداً مركب من الحيوان وغيره وهو الناطق. وعلى هذا يكون زيد كُلاً والحيوان جزءاً. فإن نسب الحيوان إلى زيد يكون الحيوان كلِّيّاً. وإن نسب زيد إلى الحيوان يكون زيد جزئياً.

(5) خالقها.

(6) تقديس الله تعالى إثبات مايليق بجلاله «بالمعارف والاعتقادات» كما أن التسبيح تنزيه الله تعالى ونفي مالايليق «بالطاعات والعبادات».

(7) أي وهبك نفساً تستحضر صور الأشياء الحاضرة وتصوّر مثال الأشياء الغائبة، وتستعمل فيها التمثيل.

(8) المثل بإسكان المثلثة بمعنى الشبه والنظير والصفة.

(9) المعنى يقال على مايقابل اللفظ، سواء كان عيناً أو عرضاً، وعلى مايقابل العين الذي يقوم بنفسه، يقال هذا معنى أي ليس بعين.

المطبوعة في الشمع على حقيقتها في الطابع على معنى حقيقتها في نفس ممثلها ومصورها. وكما يؤثر الماء في الرمل والطين معاني حركاته وتموجه. فاكتفي يانفس بحقيقة ما أوردته لك واعلمي أن كل ما أنت مشاهدة له في عالم الكون والفساد من الصور والأشكال هو تمثيل وتشكيل[1] معان هي في عالم العقل غير زائلة ولا بائدة[2] وإنما يصور العقل ذاته بذاته في الهيولى، ثم ينظر بذاته إلى معاني ذاته وصورها فيلتذ بذلك إعجاباً منه بذاته. إذ اللذة[3] العقلية هي مما يناله العقل من ذاته لذاته، لا لشيء خارج عنه، ولا لعرض عارض، بل من ذاته، وهذه هي لذة الحق الدائمة الأبدية.

يانفس تيقني[4] واقتني معرفة الأشياء بحقيقتها[5] وماهيتها ولاتحفلي بمعرفة كيفيتها وكميتها[6]، لأن المطلبين الأولين بسيطان أزليان لا وسيط بين النفس وبينهما. والمطلبين الآخرين مُركَّبان مكانياً وزمانياً. واعلمي يانفس أن عالم التركيب وإن كان محمولاً في ذاتك

---

(1) شكَّل الشيء تشكيلاً صوَّره.

(2) وهنا يوجد في بعض النسخ «ومافي العالم الروحاني فملاحظته بالمشاهدة العقلية فيجب على كل روحاني وجسماني عند بلوغه الكون الجزئي أن يتيقن بالعقل أنه حقيقة غير زائلة».

(3) اللذة إدراك الملائم من حيث أنه ملائم كطعم الحلاوة عند حاسة الذوق، والنور عند البصر، وحضور المرجو عند القوة الوهمية، والأمور الماضية عند القوة الحافظة، تلتذ بتذكرها، وقَيَّد الحيثية «بقوله من حيث أنه ملائم» للاحتراز عن إدراك الملائم لامن حيث ملاءمته، فإنه ليس بلذة كالدواء النافع المر، فإنه من حيث أنه نافع فيكون لذة لامن حيث أنه مر.

(4) اليقين الاعتقاد الجازم الثابت «المطابق الواقع» وهو عبارة عن العلم المستقر في القلب الذي لايقبل الانهدام، من يقن الماء في الحوض إذا استقر ودام، وهو من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين، ولايقال معرفة يقين.

(5) أي بتحقيق وجودها العيني من حيث مرتبته الذاتية.

(6) الماهية نسبة إلى (ماهو) جعلت الكلمتان كلمةً واحدة، وهي مايجاب به عن السؤال بمعنى أي جنس. وحددها صاحب التعريفات بأنها مابه الشيء هو هو، وقال أبو البقاء إنّ هذا التحديد غير مرض، وأتى بثبت على قوله ولامحل لذكره هنا، فالماهية عنده تمام مايحمل على الشيء حمل مواطأة. وهيَ أعم من الحقيقة، لأن الحقيقة لاتستعمل إلا في الموجودات، والماهية تستعمل في الموجودات والمعدومات. والماهية تطلق غالباً على الأمر المنفعل كالمتعقل من الإنسان وهو الحيوان الناطق، وعلم أن الأمر المتعقل من حيث أنه مقول في جواب ماهو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه حمل اللوازم له ذاتاً، ومن حيث يستنبط من اللفظ يسمى دليلاً، ومن حيث أنه محل الحوادث يسمى جوهراً.
والكيفية اسم لما يجاب به عن السؤال بكيف «لأنها نسبة إلى كيف» والكمية اسم لما يجاب به عن كم «وهي نسبة إلى كم»، فالكيف هيئة قارة في الشيء لايقتضي قسمة ولانسبة لذاته، والكم عرض يقتضي الانقسام لذاته، وقد يراد بالكيفية معنى الصفة والهيئة والعرض، وقالوا إنها عبارة عن الهيئات والصور والأحوال.

سينفصل عنك عند مفارقتك الحس فخذي علم البسيط وذري علم المركب.

يانفس هذا جرم الأرض وهو أثقل الأشياء كلها. وذلك لرسوبه تحت سائر[1] الأشياء، وطفو[2] الأشياء، عليه ولذلك صار هذا الجرم في الغاية القصوى من الكثافة والكدر وعدم النور والحياة. ثم يتلو هذا الجرم من الأشياء جرم الماء وهو ألطف وأصفى وأشرف وأنور وأقرب إلى الحياة. ثم يتلو جرم الماء جرم الهواء وهو ألطف من الماء، ثم جرم النار الذي هو ألطف العناصر الأربعة وأشرفها وأشهرها نوراً. ثم يتلو النار جرم الفلك الذي هو صفو ما تحته، والمخصوص بالشرف على كل الأجرام للطافته وشفافيته[3]، وشدة أنواره، وحسن نظامه وترتيبه، وقربه من الحياة، ومجاورته الأشياء الشريفة العاقلة، وأنه متشكل بسيد الأشكال وأتمها وأصحها الذي هو الشكل الكروي المستدير، وأن كل ما يحتوي عليه متشكل بشكله الكروي على الترتيب الذي ينتهي إلى كرة الأرض. ثم التالي لجرم الفلك الذي هو أقصى الأجرام كلها، هو جوهر النفس الروحانية.

وإنما النفس جوهر روحاني فوق الأفلاك؛ لأنها من نفخة الخالق المعطية الأفلاك الحركة النظامية، والأنوار الصافية الشريفة، التي هي ألطف ما أحاطت به من أشياء واحتوت عليه. وذلك أن ماتحتوي عليه الأشياء أجسام وأجرام وهي لاجسم البتة، وأن كل الأشياء مما دونها لاحياة لها إلا بها، لأنها ذات الفكر والإرادة والتمييز. فما واصلته أظهرت فيه معاني ذاتها[4] على حقيقة قبوله فصار حياً، ومالم تواصله لم يوجد له فكر ولا إرادة ولا حركة ولاتمييز. والذي فقد شيئاً من هذه الأشياء فهو ميت لا محالة[5].

---

(1) سائر هي بمعنى الباقي قال أعرابي لأعرابية أرادت تعطيره «عطري بطني وسائري ذري» أراد أن تطعمه كما أراد الآخر القائل «فقلت اطبخوا لي جبة وقميصاً».

(2) طفا الشيء فوق الماء طفواً إذا علا ولم يرسب.

(3) نسبة إلى الشفاف وهو مالايمنع الشعاع من النفوذ كالزجاج ونحوه.

(4) وفي بعض النسخ معاني ذاته.

(5) الميْت مخففة هو الذي مات، والميِّت والمائت الذي لم يمت قال الشاعر:

ومن يك ذا روحٍ فذلك ميِّت ... وما الميْت إلا من إلى القبر يُحملُ

والشيء التالي لجوهر النفس والحاوي له هو العقل. وهو، بحق، هو ألطف الموجودات وأشرفها وأعلاها منزلةً وإنه المرتب تحت الأفق الأعلى الأزلي تبارك وتعالى[1]، والآخذ عنه بغير وسيط والمفيد لجميع ماتحته الشرف والنور والحياة. وإنه الترجمان الأعظم والحاجب الأقرب. فتأملي يانفس على هذا الترتيب وتيقنيه واعتقديه فإنه هيئة الموجودات ونظامها وترتيبها.

(1) الأفق الأعلى قال صاحب التعريفات: هي نهاية مقام الروح وهي حضرة الإلهية.

الفصل الثاني

يانفس لاتذمي الدنيا وتقولي هي دار خديعة ومصيدة وغرورة، فإنها ليست كذلك إلا عند ذوي العقول الناقصة ومن له الجهل والنسيان. ولو كانت دار خديعة بالحقيقة لكان الإنسان منذ مبدأ ظهوره فيها إلى وقت خروجه منها. لايناله منها إلا نعيم ولذات وسرور. ثم تأتيه المسألة حينئذ بغتة، فتزيله عن ذلك النعيم، ويستحيل به ما كان فيه إلى خلاف ذلك. وليس الأمر فيها كذلك، بل إنما نرى الإنسان ينشأ في هذه الدنيا ويربو بأحوال مختلفة لانظام لها، يوماً محزوناً ويوماً مسروراً يوماً متلذذاً ويوماً متوجعاً متألماً. والشيء إنْ أظهر لك جميع مافي طبعه فقد أنصفك[1] ونصح لك. وإنما المخادع من كان في طبعه الخير والشرور وأظهر لك الخير وأبطن الشر لوقت الفرصة والمكنة منك. وليس أحد نال من هذه الدنيا فرحة إلا وأعقبته غصة وألماً. فإذاً ليست هذه المخادعة من قبل الدنيا، وإنما المخادَعَةُ من قِبَلِ الإنسان لنفسه. وذلك أن الإنسان الناقص العقل هو المخادع نفسه والمهلك لها لا الدنيا لأن الدنيا أظهرت له جميع ما في طبعها من نعيم وبؤس. فاغتبط الإنسان الضعيف العقل بنعيمها واعتقده دائماً. ونسي بؤسها وأهمله، ثم يقول خدعتني الدنيا. وأي خداع خدعته الدنيا؟ ألا إنه هو المخادع نفسه والمهلك لها لا الدنيا.

يانفس لاتكونَنَّ أخلاقك[2] في هذه الدنيا كأخلاق الصبي الذي لاعقل له. إن أُطعم ورفق به ضحك ورضي، وإن شُدِّد[3] عليه بكى وغضب. فهو ما يكون ضاحكاً حتى يكون

---

(1) من نفسه.

(2) الخُلق بضمة أو ضمتين السجية والطبع والمروءة والدين، وبالفتح المخلوق أيضاً وخص المفتوح بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر والمضموم بالقوى والسجيات المدركة بالبصيرة فالخُلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية. فإن كانت الأفعال جميلة سميت خُلقاً حسناً وإن كانت قبيحة سميت خُلُقاً سيئاً. وقلنا راسخة حذراً من النادر والعارض، فمن تكلف بذْل المال تكلف السكوت عند الغضب بجهد وروية لايقال خلقه الحلم. ينتج منه أن الخلق ليس هو عبارة عن الفعل فربّ رجل خلُقه السخاء ولا يبذل لفقد المال أو لمانع، ورب رجل خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رثاء.

(3) شدد عليه في الأمر ضيق عليه.

باكياً. وما يكون راضياً حتى يكون غاضباً. وليست هذه أخلاق العقل الوحيد الرضية. بل هي أخلاق مختلفة مشتركة مذمومة.

يانفس إنما رتبت الدنيا على هذه المعاني المختلفة التي هي خير وشر ونعيم وبؤس وشدة ورخاء تنبيهاً للنفس وإيقاظاً لها، ومثلات[1] تعمل عليها فتكتسب بذلك العقل المضيء النير، والعلم التام الذي هو الحكمة والمعرفة بحقائق الأشياء. وإنما وردت إليها النفس لتعلم وتخبر[2]، ومن ورد محلاً من المحال ليعلمه ويخبر كنهه ويعرف حاله ثم ترك العلم والبحث والاختيار وتشاغل بالنعيم والتلذذ، فقد ضيع مطلبه ونسي أربه الذي قصد له. وإنما شرحت لك يانفس هذا الشرح لكي لاتكوني في رتبة الذامين للدنيا عند سخطهم عليها. والمادحين لها عند رضاهم عنها. وليسوا هم في الحقيقة ذامين ولا مادحين بل تائهون ضالون قد أضاعوا مطلبهم ونسوا أربهم وذهب استعمالهم لها[3] باطلاً غير متحققين علماً ولا مكتسبين قنية.

يانفس إنما هذه الدنيا دار علم وبحث واختبار للمتأملين. فتأملي يانفس جميع معانيها وأشكالها المحسوسة البائدة الأعراض الزائلة الأشخاص، واعلمي أنما هي تمثيل الصور الخفية وتشكيل الحقيقة الدائمة الأبدية. وبالجملة يانفس ليس في عالم العقل نوع إلا وشكله[4] ظاهر في جَرَيان[4] الطبيعة. وكذلك كل ماهو موجود في عالم الكون إنما هو أنواع تمثيل. فلذته الكاذبة الزائلة تدل على اللذات الصادقة الدائمة، وصوره المنحلة الهالكة تدل على الباقية الثابتة. وإن اختلاف جميع مافي الحس وزواله يدل على اتفاق جميع مافي العقل وبقائه وثباته.

فما دمت يانفس في عالم الطبيعة فلا تطلبي مني لذة. ولاتتشاغلي بمحسوس عن العلم والتصور والتمثل والبحث والاستكشاف وجميع ما قصدت له من جميع مطالبك ومآربك لتستحقي العودة والرجوع إلى ذلك العالم[5]. فإذا تشوفت[6] يانفس إلى اللذات والسرور الدائم فانزعي عنك لباسك القذر، وتهذبي من أوزار جسدك، وانقي[7] من الأشياء المخالفة لجوهرك،

---

(1) المثلات «العبر يعتبر بها» وهي ماأصاب السلف من العذاب.
(2) وتخبر أي لتبلو وتسبر.
(3) وفي بعض النسخ «آلاتهم» مكان لها.
(4) الشكل الشبه والمثل.
(5) وقوع أمور الطبيعة وحدوثها.
(6) وفي بعض النسخ إلى اكتساب العلم.
(7) تشوف إلى الخبر تطلع إليه ونظر.

ثم صيري إلى عالم اللذات الحقيقية والسرور الدائم، والبسي حللك الذاتية، وتصوري صورك الدائمة الباقية التي أنتِ مشاهدة لتشكيلها وتمثيل أنواعها وأنت في عالم الكون والفساد.

فتيقني يانفس كل ماقد شرحته واعقليه، واعلمي يانفس أنَّ المهلكات ثلاثة أجناس أولها الشرك وجميع أنواعه، والظلم وجميع أنواعه، والتلذذ وجميع أنواعه. ولكل هذه الأجناس وأنواعها أصل واحد، وهوحب الدنيا، فتحرزي[1] يانفس من الدنيا، وأعرضي عنها وانظري إليها بعين الخائف الوجل منها، كالطائر الذي عرف الفخ المنصوب وفطن له فانحرف عنه وحذره.

واعلمي يانفس أن تحرزك وهربك من جنس الشرك يذهب بك إلى رتبة التوحيد، وأن تحرزك من جنس التلذذ، يذهب بك إلى الراحة من مقاساة الخوف والحزن وعناء الجهل والفقر. فثقي يانفس بحقيقة هذه المعاني وتيقني صحتها واعملي بها تحيي وتسلمي من الهلكة.

يانفس تأملي حكمة مبدع الأشياء واعتبري بها، واعلمي أن الإنسان لم يخلق لمعنى من المعاني إلا العلم والعمل بالعلم. وكذلك الثمرة الطيبة لم تخلق إلا للأكل. وكما أن عنقود العنب يبدو وهو لايصلح لشيء مما يراد به، ثم ترد إليه المادة السائرة به حد الحموضة العادية[2] فيكون حينئذ يصلح لبعضٍ مايراد به لالكلّه، ثم ترد إليه المادة السائرة به إلى حد الكمال في جميع المعانيِ التي يراد لها فيكمل حينئذ. وكذلك الإنسان المحسوس يبدو إلى عالمه وهو لايصلح لمعنى من المعاني التي تراد منه، ثم تَرد إليه المادة السائرة به إلى المعنى الذي يصلح به أن يكون متعلماً لا عالماً. فإذا ارتاض على هذه الرتبة وردت إليه المادة الكبرى الكاملة المكملة، فيصبح حينئذ عالماً عاملاً فيكمل حينئذ. وكذلك الإنسان في الرحم يكون منياً ثم علقاً ثم مضغة[3]، ثم تَرد إليه القوة المصورة التّي يمكن أن تصوره بتوسط الأجرام الإلهية. فإذا صار بالقوة ذا عصب وشهوة. وردت إليه حينئذ القوّة المتممة التي هي عقل بالفعل فسارت به إلى حدّ الكمال. وحينئذٍ يكون جامعاً لجميع أسبابه بالفعل بعد أن كان في الابتداء لا بالفعل ولا بالقوَّة، فكان انتقل إلّى رتبة كان فيها بالقوة ثم ذهب من رتبة القوة إلى رتبة الفعل والكمال. فصار حينئذٍ عاقلاً وكاملاً مصوراً متصوراً ممثلاً متمثلاً.

---

(1) نقي الشيء ينقى نظف وحسن وخلص وفي بعض النسخ توقي من الوقاية.
(2) من حرز الرجل يحرز إذا كثر ورعه وتصونه وتوقى.
(3) وفي بعض النسخ العذبة عوض العادية.

يانفس أن التـأمل في هـذه المعـاني . دليـل علـى لطـف حكمـة مبـدع العـالمين جـل جلالـه وتقدست أسماؤه .

يـانفس إن المبـدع جـل اسـمه . كالنـاطق الفـائض مـاعنده مـن المعـاني والجواهـر العقليـة للمستمعين منه . وليس كل المستمعين يفهمون عن المتكلم . بل منهم من يحتاج إلـى ترجمـان يؤدي إليه ، ووسيط بين الناطق والسامع ، وذلك لضعف السامع عـن فهـم القـول . ومـن هـو كذلك فهو أعجمي لايفهم حاجته إلا بترجمان يفسر له حقيقة القول . فلا تكوني يـانفس مـن الجواهر المحتاجة إلى الوسيط . فإن الترجمان ربما خان في تعبـير الكـلام وغيَّر القـول وحرَّفـه . فاخرجي يـانفس مـن رتبـة العجمـة إلـى رتبـة الفصاحـة . واقتنـي يـانفس العلـم قبـل العمـل ، ومعرفة الثمرة قبل غرس الشجرة . لتتحققي القول قبل الفعل ، والعلم قبل العمل . فـإن لـك في ذلك راحة كبرى وفائدة عظمى .

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

يانفس إن الأعراض الحالَّة في الجواهر الكثيفة عادمة الاتفاق مائلة إلى الاختلاف والمضادة. فتحذري منها وانحرفي عنها. فهي المعنى الذي حُذّرته والخوف الذي خُوّفته.

يانفس أنت وحيدة وهي متكاثرة. أنت متفقة وهي مختلفة. أنت ناصحة وهي مخادعة. أنت موجودة حق موجود وهي لاحقيقة لوجودها. أنت خير دائم باق. وهي زخارف وتمويه مستحيل فان فأعرضي يانفس عنها. واحذري استعبادها إياك وقطعها[1] لك وخذلانها إياك فلا تخرجي يانفس عن ذاتك الوحيدة الحقيقة الشريفة. ولاتبغي[2] تكاثرها واختلافها ومحلها[3] وخساستها وغدرها تضلي وتهلكي.

يانفس إلى متى أنت فقيرة هاربة من ضد. فارَّة من الحرّ إلى البرد. وتارة من البرد إلى الحر. وتارة من الجوع إلى الشبع. وتارة من الشبع إلى الجوع. وكذلك أنت في الأطعمة والروائح[4] أن أسرفت[5] عليك الحلاوة افتقرت إلى الملوحة. وإن أسرفت عليك الملوحة افتقرت إلى العذوبة. وإن أسرفت عليك العذوبة افتقرت إلى الحموضة. وكذلك أنت في جميع المشمومات. وجميع ما أنت مشاهدة له في عالم الحس. فبينما أنت فقيرة إلى المقتنيات، فإذا وصلت إليها اكتسبت الخوف عليها مادامت معك. فإذا فارقتك زال الخوف عنك وأعقبك ذلك أحزاناً وغموماً. فانزعي يانفس هذا الشيء الذي أنت مشاهدة به هذه الأشياء. والذي أنت به مشاهدة لهذه الأمراض والآلام. ولاتأسفي لمفارقة الأحزان والهموم والخوف والفقر. ولاتكرهي مواصلة الغنى والأمن والسرور. فإنه من آثر الفقر على الغنى، والخوف على الأمن والذل على العز، كان جاهلاً، ومن جهل فقد ضل، ومن ضل فقد هلك.

يانفس تيقني أنك برزت من أصلٍ أنت فرعه. وأنَ الفرع وإن جرى إلى غاية في البعد

---

(1) أي هجرها وعقها.
(2) لاتطلبي.
(3) الكيد والخديعة.
(4) جمع رائحة وهي النسيم المستنشق طيباً كان أو خبيثاً مما يدرك بحاسة الشم.
(5) من السرف وهو تجاوز الحد والاعتدال.

عن أصله، فإن بينه وبين أصله وصلة ورباطاً. وبهذه الصلة والرابطة يستمد كل فرع من أصله. كالشجرة المثمرة فإن الثمرة وإن بعدت عن أصلها المبدي لها، فإنه بينه وبينها اتصالاً ذاتياً به يكون استمدادها منه. ولو عدمت ذلك الاتصال بأن يقطع بينها قاطع مما هو سواها لحالَ بين الأصل والفرع وأوجب قطع المادة عن الفرع ففسد في الحال وتلف. فتصوري يانفس هذا وتيقنيه واعلمي أنك راجعة إلى مبدئك الذي هو أصلك ونبعتك. فتهذبي من أوساخ الطبيعة وأوزارها المبطئة بكِ[1] عن سرعة الرجوع إلى عالمكِ وأصلكِ.

يانفس هذا عالم الطبيعة. وهو محل الفقر والخوف والذل والحزن. وهذا عالم العقل. وهو محل الغنى والأمن والعز والسرور. وقد شاهدتهما جميعاً وساكنتهما. فتخيري على علم وخبرة. واعلمي أنك لابثة في أيهما شئت غير مدفوعة ولا ممنوعة. واعلمي أنه من الممتنع أن يكون الإنسان فقيراً غنياً. خائفاً آمناً. عزيزاً ذليلاً. مسروراً حزيناً. وإن كان هذا هكذا. فلايمكن أن يجمع الإنسان حب الدنيا وحب الآخرة بل ذلك من الممتنع أشد الامتناع[2].

يانفس أن من نزع سلاحه وكتف[3] نفسه واستسلم لعدوّه وجب أسره. ومن قاتل بسلاحه وحمى نفسه ولم يستسلم لعدوه وجب قتله[4]، وأي نفس وردت إلى عالم الطبيعة. فلابدّ لها أن تسلك إحدى هاتين الحالتين. إما القتل وإمّا الأسر. فمن اختار الأسر، فقد اختار طول العذاب وهَوَانَ الاستعباد وذل العبودية. ومن اختار القتل فقد مات عزيزاً وكان موته حياةً له واستراح من الأسر وهوانه وطول ذله.

يانفس متى نويت ترك الأفعال الخسيسة الدنيئة فاقصدي نبعها وأصلها واجتنبيه وهو حب الدنيا. ومتى نويت الأفعال الشريفة أيضاً فاقصدي أصلها واغرسيه، وهو الزهد في الدنيا. وليكن من يفعل هذا براءً من النفاق والتمويه، والإفراط والتفريط[5].

---

(1) يقال ماأبطأ بك ومابطّأ بك أي ماأخرّك.

(2) يشبه قول الإنجيل الطاهر عن الله والمال.

(3) كتف نفسه شدّ يديه إلى خلف كتفيه موثقاً بالكتاف (وكل النسخ قد تصحفت عليها هذه اللفظة وجعلوها كفّ).

(4) يقول إن من نزع عنه أسلحته في ساحة الوغى وكتف نفسه واستسلم لعدوه ذليلاً عن طواعية نفسه فعدوه يرفق به ويبقي عليه مأسوراً لأنه طلب الأسر لا القتال. وأما من ينازل عدوه ويكافح عن نفسه ويذود عن حوضه بسلاحه فإن عدوه متى ظفر به يقتله للحال، إما لأنه سامه كفاحاً شديداً وجهاداً عظيماً وأصلاه ناراً حامية. أو لكي لايعود إلى مثل ذلك.

(5) أي الزيادة والنقصان

يانفس لايخرج بك شدة الحذر وإفراطه إلى حد الجبن فتعدمي الشجاعة وشرفها وتكتسبي الخساسة ودناءتها، واعلمي أن كل شيء مستمد من غير ذاته فهو محتاج إلى المادة[1] وكل محتاج إلى المادة فمادته متوالية له دائماً طول مدته المقسومة له[2]، فتيقني يانفس هذا فإن لك فيه راحة كبرى وفائدة عظمى.

يانفس تمسكي بالتدبير الجزئي على حسب الإمكان. فإن تدافعت بك الأمور إلى جهات التدبير الكلي فارضي بذلك واطمئني إليه يسقط عنك ثقل الاهتمام والتكلَف. كرجل تكلف مصباحاً يستضيء به طول الليل من ظلمته. فلما طلعت الشمس استغنى عن المصباح وزال عنه ثقل التكلف.

يانفس لاتقترني بدنايا الأمور وخسائسها فتلزمك العادة بذلك، وتكتسبي طبعاً مخالفاً لطبعك. وتعدمي بالانضباب إليها الرجوع إلى وطنك. واعلمي أن مبدع الأشياء جلَّ وعلا هو أشرف الأشياء كلها فاقترني بشريف الأشياء. لتقتربي من باريك بطريق المجانسة. واعلمي أن شرائف الأشياء مضافة[3] إلى شرائفها وخسائس الأشياء منضافة إلى خسائسها.

يانفس تطالبين بالاستقرار وأنت في عالم الكون. وأي استقرار يوجد في عالم الكون؟ فإن الدف[4] مادام على ظهر الماء لاقرار له ولاطمأنينة البتة. وإن استقرَّ وقتاً ما فإن ذلك بالعرض. ثم يعود الماء إلى اضطرابه وتموجه. وإنما يستقر الدف إذا أخرج من الماء واعيد إلى الأرض التي هي نبعته وأصله المشاكلة له بالكثافة والثقل. فحينئذ يستقر به القرار. وكذلك النفس مادامت في جريان الطبيعة. فلا قرار لها ولا راحة ولاطمأنينة. لإتعابه إياها وخذلانه وقطعة لها. فإذا عادت النفس إلى نبعها وأصلها استقرت وظفرت بالراحة واستراحت من شقاء الغربة وذلها.

---

(1) مادة الشيء هي التي يحصل الشيء معها بالقوة. ولها أسماء باعتبارات فمن جهة توارد الصور المختلفة عليها (مادة) ومن جهة استعداده للصور (هيولى) ومن جهة أن التركيب يبدأ منها (عنصر) ومن جهة أن التحليل ينتهي إليها (اسطقس).

(2) هذا الأصل في أغلب النسخ وترجم إلى اللاتيني هكذا.

(واعلمي يانفس أن كل شيء مادي محتاج للجوهر وكل محتاج لجوهر مادي محتاج للمادة يطلب دائماً مدة تطابق طول المدة المنسوبة له).

(3) الإضافة حالة نسبية متكررة بحيث لاتعقل أحدهما إلا مع الأخرى كالأبوة والبنوة.

(4) وفي بعض النسخ الذق وغيرها الزورق.

الفصل الرابع

يانفس إن عالم الطبيعة صفو وكدر. فتجرعي كدره قبل صفوه، فإنه هكذا ينبغي أن تكون السياسة. واعلمي أن شرب الصفو بعد الكدر خير من شرب الكدر بعد الصفو. فلا تغترّي بأن في عالم الطبيعة صفواً يوجد. وإن وجد صفو فليس هو بالحقيقة. لأن مالا دوام له لا صَفْو فيه، وأي صفو هو وهو كدر كلّي الكدر، وثقل كلي الثقل. وإنما ضربت لك ذلك مثلاً. فإن ارتدت الشيء الصافي الهني فاطلبيه في غير عالم الكون والفساد. فإنك إن طلبته في معدنه وجدته، وإن طلبته في غير معدنه عدمته. وإن أنت عدمت طلبك. وفاتك أربَك. اقترنَت بك الأحزان والفقر. وأعقبك ذلك مرضاً يؤدي بك إلى المَوت منَ العيش العقلي والحياة الدائمة.

يانفس إن هذا المركب الذي ركبته في هذا البحر العظيم إنما هو مياه تجمد وبالعرض تركب. فيوشك أن تطلع عليه الشمس. فينحل ويعود إلى عنصره ويتركك جالسةً على ظهر الماء ما أمكنك الجلوس، فتطلبين مركباً، ولا مركب إلا ما اكتسبت من جودة السياحة وحسن التهدّي[1].

يانفس إن الماء الصافي النقي يؤدي البصر إلى ما في ذاته. فإن شابَهُ الكدرُ والوسخ حجب البصر عن إدراك الأشياء المسكنة فيه. وكذلك نور الشمس إذا أشرق على الأشياء. كان البصر مدركاً لها بالحقيقة. فإذا عرض فيها البخار والدخان والغبار. حيل بين البصر وبين إدراكه تلك الأشياء. وكذلك أنوار العقل اللطيفة إذا امتزجت بالأشياء الكثيفة المظلمة، كدرتها وعاقتها عن إدراك مافي ذاتها من الصور والأشكال وأعدمتها. فحينئذ تبقى النفس فقيرة من مقتنياتها، جاهلة بمعلوماتها عادمة حسن التهدي إلى طريق نجاتها.

يانفس ليس الزهد في الدنيا ترك تزويقها وإصلاحها مع الرضى بالمقام فيها. وإنما الزهد التام الرضى بالتحول عنها والاستعداد للنقلة منها. وكذلك يانفس ليس الزهد في عالم الطبيعة ترك لذاته وشهواته مع الرضى بالمقام فيه. وإنما الزهد بالحقيقة شدة الشوق إلى مفارقته، والراحة منه ومن معاندته، ومضادته ومصائبه واختلافه وظلمه. فينبغي لك يانفس أن تعتقدي الشوق إلى الموت الطبيعي والرضى به. وتحاذري الفشل عنه والخوف منه،

---

(1) الاسترشاد.

فبالخوف تكون التهلكة. وبالشوق إليه تكون السلامة. أو ليس تعلمين يانفس أنك بالموت الطبيعي تنتقلين من الضيق إلى السعة. ومن الفقر إلى الغنى. ومن الحزن إلى السرور. ومن الخوف إلى الأمن. ومن التعب إلى الراحة ومن الألم إلى اللذة. . ومن المرض إلى الصحة. ومن الظلمة إلى النور. فلاتبتئسي يانفس إذ تُسلبي حُلل الشر والشقاء. وتلبسي حلل الخير والبقاء. مع تيقنك حقيقة ذلك ومشافهتك إياه ومشاهدتك له بذاتك الفردة الوحيدة.

يانفس تطلبين الإخوان في عالم الكون. وقد علمت أن ذلك من جنس الممتنع. وإنما يوجد ذلك في عالم الروحانيين، لانفراد ذواتهم وتمحصها وصفائها. فإذا أحببت ذلك فصيري إلى هناك تظفري بمطلوباتك ولاتطلبي في عالم الكون ماليس فيه. لأن سكانه أسارى ومماليك، وأي أخوة للأسير. وأي عهد للمملوك؟ فاعلمي ذلك وتيقنيه واعتقديه.

يانفس اعلمي أن كل فاقد تائه وكل تائه هالك فاحذري يانفس أن تقتني مالا تعتقدينه أنه باق فتتوهين وتهلكين.

يانفس ما أشدّ مفارقة الأحباب، وأشد من ذلك صحبة كل مفارق، يانفس إن أهل الدنيا مظلومون ظالمون مغرورون غارون. ومن ذلك أنهم يستقبلون كل نفس واردة إلى دار الهموم والأحزان، بالطرب والسرور. ويشيعونها إذا صدرت عنها بالبكاء والعويل. وكفى بهذا يانفس ظلماً ومخالفةً للحق والعدل.

يانفس تيقني وتفهمي بالاستقراء[1] والتأمل. واعلمي أن أربعة أشياء هي السبب في هلاك النفس لامحالة. الجهل، والحزن، والفقر، والخوف. واعلمي يانفس أن من بحث عن العلم عدم الجهل. ومن ترك المقتنيات الخارجة عنه عَدمَ الحزن. ومن عفَّ عن الشهوات عَدِم الفقر. ومن تشوق وتشوف إلى الموت الطبيعي ورضيَ به عَدِم الخوف.

يانفس إن الجاهل لايعلم لشيء حقيقةً البتة. والمقتني الأشياء الخارجة عنه حزين طول

---

(1) الاستقراء هو تتبع جزيئات الشيء وهو تام وناقص. فالتام هو الاستقراء بالجزئي على الكلي نحو جسيم متحيز. فإنك لو استقريت جميع جزيئات الجسم من جماد وحيوان ونبات لوجدتها متحيزة، وهذا الاستقراء دليل يقيني يفيد اليقين. والناقص هو الاستقراء بأكثر الجزئيات، نحو كل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ، لأن الإنسان والبهائم والسباع كذلك، وهو ناقص لايفيد اليقين لجواز وجود جزئي لم يُستقرَ أو يكون حكمه مخالفاً لما استقري، كالتمساح، فإنه يحرك فكه الأسفل عند المضغ. وهذا الاستقراء دليل ظني لايفيد إلا الظن. وإذا كان الاستقراء بجزئي فهو التمثيل. وقد مرّ.

دهره. والفقير إلى الشهوات فقير أبداً. والخائف من الموت الطبيعي قد عدم حلاوة الأمن. فهل يكون أشقى من نفس جاهلة حزينة فقيرة خائفة؟

يانفس لو تقررت[1] لك رتبة الصبر على مضض العزم[2] السائر بك إلى حد الانفصال عن الطبيعة. لعدمت الخوف مع الفقر جميعاً. فتدرّعي يانفس الصبر ولاتجمعي إلى الحزن والغربة الخوف والفقر فتهلكي.

يانفس إن الموت وراء الهزيمة والحياة وراء الصبر والثبات عزّ والفشل ذل[3].

يانفس إن القتل إنما هو ساعة وتنقضي. ومقاساة ذل الأسر حال تطول. فارضي بالقتل في الطبيعة. ولاترضي بالأسر. فإن القتل في الطبيعة هو الحياة الدائمة. وإن الأسر في الطبيعة[4] هو الموت الدائم.

يانفس هذه رتب ثلاث فكوني على أشرفها وأجملها. فأدناها رتبة رجل عالم غير كامل وهو كرجل ذي سلاح لاشجاعة له. وما عسى أن يصنع الجبان بالسلاح. والرتبة الثانية رجل عاملٌ غير عالم وهو كرجل شجاع لاسلاح له. غير أن الشجاع بلا سلاح أقدر من الجبان مع السلاح[5]. وكذلك عامل غير عالم أشرف من عالم غير عامل. والرتبة الثالثة رتبة رجل عالمٍ عامل وهو كرجل ذي شجاعةٍ وسلاح. وهذه ينبغي أن تكون الرتبة الشريفة.

يانفس إن القمر ينير ما وردت إليه الشمس. فإذا عرض له أن يحول بينهما ظل الأرض انخسف[6] وأظلم. وكذلك النفس نيرة مضيئة مادام يرد إليها نور العقل. فإذا توسطت أسباب الفساد[7] بينهما، عدمت النفس نورها وانخسفت وأظلمت. وكما أنه ما دامت في وسط العالم لن يعدم القمر الخسوف. كذلك النفس مادامت ملازمة للطبيعة لن تعدم الظلمة والأذى. فتبين من هذا الشرح أنَّ راحة النفس مفارقتها عالم الطبيعة والتحول عن هذه الدنيا عاجلاً.

---

(1) وفي نسخة تدبرت.
(2) وفي نسخة العدم.
(3) وفي بعض النسخ أن الموت تحت الصبر والثبات عز. والموت تحت الهزيمة والفشل ذل.
(4) في بعض النسخ في الجهل.
(5) وفي بعض النسخ أن الشجاع على السلاح أقدر من الجبان على الشجاعة.
(6) يقال انخسف القمر وانكسفت الشمس.
(7) وفي نسخة أسباب السوداء الدم والبلغم والمرّة.

الفصل الخامس

يانفس إن العقل هو شيءٌ غير التصور والتمثل. وأي نفس عدمت التصور والتمثل فقدت ذاتها. ومن فقد ذاته فهو ميت.

يانفس إن التصور والتمثل هو العقل الذي هو الحياة الدائمة.

والتلذذ والتنعم بالدنيا هو الموت الدائم. فلا تؤثري مزايلة[1] الحياة الدائمة على مقارنة الموت الدائم فتهلكي.

يانفس ما بال كل الجواهر الطبيعية غير العاقلة متحركة بالطبع[2] إلى عنصرها ومواضعها الخاصة بها. وذلك أن كل جوهر إنما شرفه وعزه أن يرجع إلى عنصره فيكون في أصله ومحله.

يانفس أفليس كل مايكون من التراب كالحجارة وغيرها يرجع منحلاً إلى التراب الذي هو أصله ونبعه. حتى إنه لو أخذ أحدٌ جزءاً من الأرض فَعَلا به عن وجه الأرض ثم خلَّى سبيله لعاد مسرعاً بحركته الطبيعية إلى عنصره وأصله. وكذلك كل المياه تراها أبداً متحركة بالطبع ذاهبة إلى عنصرها الأعظم، مالم يعقها عائق، كالعيون التي تنضاف إلى الأنهار. وكالأنهار التي تنضاف أبداً إلى البحر الذي هو عنصر الماء. وكذلك كل شيء مما سوى ذلك كصعود النار إلى العلو راجعة إلى عنصرها، وكسريان الهواء علواً راجعاً[3] إلى عنصره فإذا كانت هذه الأشياء التي ليس لها عقل ولاتمييز وإنما حركتها حركة هيام وطبع. به يتحرك كل

---

(1) مفارقة.

(2) بالطبع أو بالطبيعة أما الطبع فهو مايقع على الإنسان بغير إرادة وقيل هو الجبلة التي خلق عليها. أو هو مبدأ الحركة مطلقاً سواء كان له شعور كحركة الحيوان أو لا كحركة الفلك عند من لم يجعله شاعراً. وهو الصورة النوعية أو النفس. وأما الطبيعة فهي عبارة عن القوة السارية في الأجسام بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي، والطبيعة أيضاً مايكون مبدأ الحركة من غير شعور والنسبة بينهما بالعموم والخصوص مطلقاً. والعام هو الطبع، والطبيعة تطلق على النفس باعتبار تدبيرها للبدن على التسخير لا الاختيار. وقد تطلق على الصورة النوعية. أو الطبع أيضاً قوة للنفس في إدراك الدقائق. والسليقة قوة الإنسان أن يختار «مثلاً» الفصيح من طرق التركيب من غير تكلف وتتبع قاعدة موضوعة لذلك.

(3) سريان مصدر سرى إذا سار المرء عامة الليل وقيل أسرى لأول الليل وسرى لآخره وقوله: كسريان الهواء علواً راجعاً إلى عنصره. ليس صواباً لأن مركز الهواء السطح الكروي وجاء في الكليات أن الهواء جرم بسيط حار رطب شفاف لطيف متحرك لمكان فوق كرة الأرض والماء تحت كرة النار.

واحد منها إلى حيث شرفه وعزه وقوته. ويأبى الغربة والبعد عن وطنه ومحله. فما بالك يانفس وأنت ذات العقل والتمييز. تأبين الرجوع إلى وطنك وعنصرك الذي فيه شرفك وعزك. وتكرهين ذلك وتحبين البعد عن أصلك ونبعك. وتختارين اللبوث في الأرض الغريبة ومقاساة الذل والهوان. فياليت شعري أبالطبع تختارين ذلك أم بالعقل؟ فإن كان ذلك بالطبع فساوي الطبيعة في فعالها بالطبع ورجوعها أبداً إلى عنصرها. وإن كان هذا منك بالعقل والتمييز، فكيف يجوز للعاقل المميز أن يختار الغربة على الوطن، ومحل الخساسة على محل الشرف، ومقاساة الذل والهوان على الراحة والعز والكرامة؟ ومن حصل في هذه الرتبة فقد بان أنه لايعد في رتبة الطبيعيات ولا في رتبة العقليات. وما لم يكن من هذين الجنسين فليس بشيء. ولايعدّ في الموجودات. بل ينبغي أن يكون منفياً عنها. فتصوري يانفس هذه المعاني. وارجعي بعقلك إلى شرفك الأعلى ومحلك الأقصى.

يانفس إني تأملت اللذات كلها. فلم أجد ألذّ من ثلاثة أشياء: العلم والغنى والأمن[1] ولكل واحد من هذه الأشياء أصل وينبوع يحرّكه. فمن طلب العلم فليذهب إلى معنى التوحيد. فإنه بالتوحيد تكون المعرفة والعلم والتحقيق. وبالإشراك يكون الكفر والجهل والشك. ومن طلب الغنى فليذهب إلى رتبة القنوع، فإنه حيث لاقنوع لاغنى. ومن طلب الأمن فليستعد لمعنى المفارقة لعالم الطبيعة وهو الموت الطبيعي.

يانفس مادمت في عالم الكون والفساد فاحذري حالتين، هما من مهالك النفوس فاحذريهما وانحرفي عنهما انحراف الخائف الوجل منهما. وهما النساء والأشربة المسكرة. فإن الواقع في مصايد النساء كالطائر الواقع في يد صبيّ لاعقل له. فالصبي يلهو به ويلعب ويفرح بهجاً مسروراً والطائر في خلال ذلك، يتجرع غصص الموت، ويلقى أنواع العذاب، وكذلك يانفس ينبغي أن تحذري شرب المسكر. فإن السكر يجعل النفس كالسفينة الجارية في شدة تيار الماء وأمواجه. وليس فيها ملاح ولا مدبّر يدبِّرها. فكذلك النفس إذا فارقت العقل

---

(1) العلم قد اختلفت أقوال العلماء فيه فقالوا هو الاعتقاد الجازم المطابق الواقع. وقالوا هو حصول صورة الشيء في العقل. والأول أخص، وقالوا هو إدراك الشيء على ماهو. وقالوا زوال الخفاء من المعلوم. وقالوا هو صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات. وقالوا هو وصول النفس إلى معنى الشيء. وقالوا عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول، وقالوا عبارة عن صفة ذات صفة، وأما الغنى فهو الكفاية واليسار. وقال بعضهم غنى الدنيا «مقصور» وهو الكفاية وغناء الآخرة وهو السلامة «ممدود».

* والأمن عدم توقع مكروه في الزمان الآتي.

غرقت وجرت بها الطبيعة جرياناً سائلاً لاترتيب له ولا نظام فهلكت وتلفت .

يانفس إن الشيء الذي يأتيك علمه ثم يعاودك نسيانه[1] فتيقني إنه إنما يأتيك علمه من خارج ذاتك بمادة تتوسط بينك وبين علم ذلك الشيء . فإذا عاودك نسيانه فإنما ذلك من قبل ظلمة الجسد واختلافه وثقله ، واجتذابه إياك إلى ذاته ، وإعاقته لك بكثرة أضداده[2] ، وتركبه فتعودين ناسية لما كنت قد ذكرته ، وجاهلة لما كنت قد علمته . ومثل ذلك يانفس كمثل البصر والمبصرات والظلمة والنور[3] ، وذلك أن البصر يكون في الظلمة فتكون المبصرات حاضرة بين يديه فلا يراها . ويضعف عن إدراكها . فإذا ورد إليه النور المضيء أعانه على إدراك مبصراته ومحسوساته التي كانت قبل ذلك غائبة عنه . فكان ذلك النور سائقاً له إليها ومتمماً له إدراكه إياها . وجاعلها فيه بالعقل بعد أن كانت فيه بالقوة . فما دام البصر واجداً لذلك النور فهو واجد لمبصراته ومدرك لها . فإذا فقد النور وعاودته الظلمة عاد إلى فقده جميع محسوساته ولو دام له النور أبداً لدام له الإدراك أبداً مادام النور ، وعدم الظلمة ، فإذا كان قد اتضح لك يانفس أنَّ النور يأتي من قِبَل العقل . وأنّ الظلمة تأتي من قِبَل الجسد ، فينبغي لك يانفس أن لاتأسفي على فراق الجسد لشدة إضراره بك وخذلانه إياكِ وإعاقته لك عن إدراك معلوماتك الدائمة الحقيقة . بل ينبغي لك يانفس أن تأسفي على مفارقتك عالم العقل لكثرة منافعه لك

---

(1) النسيان هو السهو وهما مترادفان ، قال بعضهم إن النسيان غيبة الشيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد . والسهو هو غفلة القلب عن الشيء بحيث يتنبه بأدنى تنبيه . وقالوا النسيان زوال الصورة عن القوة المدركة مع بقائها في الحافظة . والسهو زوالها عنهما معاً . وقيل غفلتك عما أنت عليه لتفقده سهو . وغفلتك عما أنت عليه لتفقد غيره نسيان . وقيل السهو يكون لما علمه الإنسان ولما لايعلمه . والنسيان لما عزب بعد حضوره . وأما الذهول فهو عدم استثبات الإدراك حيرة ودهشة ، وفي المفردات شغل يورث حزناً ونسياناً والغفلة عدم إدراك الشيء مع وجود مايقتضيه ، وأما قوله وماكنا عن الخلق غافلين أي مهملين أمرهم . وقد يجيء النسيان بمعنى الترك ومنه النسي وهو مايسقط في منازل المرتحلين من رذال أمتعتهم .

(2) الأضداد جمع ضد . وهو عند الجمهور يقال لموجود مساو في القوة لموجود آخر ممانع له ، ويقال لموجود مشارك لموجود آخر في الموضوع معاقب له ، أي إذا قام أحدهما بالموضوع لم يقم الآخر به . والضدان إذاً عبارة عما لايجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة . وأما قولهم يكونون عليهم ضداً . فالمراد به العون . فإن عون الرجل يضاد عدوه وينافيه بإعانته عليه . وهو يكون للجمع والمثنى والمفرد .

(3) النور كيفية تدركها الباصرة ثم تدرك بها المبصرات . والنور «في ذاته» هو الجوهر المضيء . والنار كذلك ، غير أن ضوء النار مكدر مغمور بدخان محذور عنه بسبب مايصحبه من فرط الحرارة والإحراق . وإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ، ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذوة . ولايزال يتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف والنور من جنس واحد وهو النار . بخلاف الظلمة ، إذ مامن جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل ، وليس كل جرم نور .

ومساعدته إياك على نيل مطلوباتك. فانصرفي يانفس عن الطبيعة زاهدة فيها قالية لهـا خائفة منها فازعة إلى عالم العقل الـذي هـو أصلـك ونبعتـك، ومعـدن شـرفك وعـزك تحيـي بذلـك الحياة الدائمة وتستكملي السعادة التامة الكاملة.

يانفس حتى متى أنت في عالم الكون تطوفين واردة وصادرة، وذاهبة وراجعة، تتخذيـن القرناء والخلان. فخليلاً تتركين وخليلاً تتخذين وتصحبين. وليس من خليل تصحبينه فيلـين لك منه جانب، إلا وقد تلون لك منه جانب معتقداً لـك الغـدر والخـذلان، وأنـت معتقـدة لـه الوفاء والمساعدة. يغشك فتنصيحينه، ويعتـلُّ فتصححينـه، ويدنسـك فتطهرينـه، فهـو دائمـاً يقابلك بما في جوهره وطبعه. وأنت دائماً تقابلينه بما في جوهرك وطبعك. ثم يعقبك بعـد هـذا كلّه بالقطيعة الكلية والفراق القاطع[1] على غير جرم أجرمته، ولا ذنب جنيته، فـأنت في كـل حين متجرعة من الفراق غصصا. وفاقدة ألفاً وخليلاً، علـى غدرهـم ووفـائك لهـم وظلمـم إيـاك وأنصـافك إيـاهم، لاعـن الآخـر بـالأول تـنزحين، ولا بطـول تجربتـك واختبـارك لهـم تتعظمين وتعتبرين[2]، فحتى متى وإلـى متى تصـاحبين الأشـرار الظـالمين والخونـة الغـادرين؟ أهذا جهل منك وعمى أم تجاهل وتعامٍ عن الصواب؟

* * *

(1) القاطع: الهاجر.

(2) الاعتبار: هو النظر في الحكم الثابت أنه لأي معنى ثبت وإلحاق نظـيره بـه وهـو عـين القيـاس. وقـالوا الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسـها. وقيـل الاعتبار هو التدبير وقياس مـاغلب علـى ظهـر. ويكـون بمعنـى الاختبـار والامتحـان وبمعنـى الاعتـداد بالشيء في ترتيب الحكم نحو الاعتبار بالعقب أي الاعتداد في التقدم به. والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء إلى آخر، ولهذا سميت عبرة والمعبر معبراً واللفظ عبارة. وقـالوا السـعيد مـن اعتـبر بغيره، والشقي من اعتبر به غيره.

الفصل السادس

يانفس إنه لو شرب شارب من الماء شربة واحدة. لقد كانت تلك الشربة تقرر في نفسه المعرفة بطبيعة الماء كله. فإن اختبار الجزء من الشيء الواحد ينبئ عن سائر أجزائه وإن الناظر إلى كف من التراب فقد رأى التراب كله. وإن اختلفت ألوان التراب فليس جوهره مختلفاً. وإن مصاحب القرناء والخلاَّن الذين كلهم من طبيعة واحدة وجوهر واحد لعارف بأن واحدهم ينبئ عن جميعهم، وقليلهم ينبئ عن كثيرهم. فاقتصري يانفس على هذا الشرح واكتفي به تُوَفَّقي للسلامة والنجاة.

يانفس إني أرى كل شكل يحنّ إلى شكله، وكل نوع ينضاف إلى نوعه، فينبغي أن تكوني بهذا المعنى عرفة. يانفس أنت صافية فلا تصحبي كدراً، وأنت نيّرة فلا تصحبي مظلماً، وأنت حية ناطقة فلا تصحبي ميتاً أبكم، وأنت عاقلة عادلة فلا تصحبي جاهلاً جائراً، وأنت طاهرة نقية، فلا تصحبي نجساً دنساً، وأنت متصرفة بالتمييز والإرادة العقلية، فلا تصحبي المتحرك حركة الهيام والالتباس والتشوُّش، فإن أنت لم تتحققي شرحي هذا فأريني كيف يكون الاتفاق في معانيك التي ذكرتها بمعاني سواك. ومن المحال يانفس أن يثبت لك اجتماع المتخالفين في معنى واحد. فتيقني يانفس قولي، وارجعي إلى ما رسمته لك وحددته تجدي الحق وتظفري بالصواب.

يانفس ما أشغل[1] الغريق في الماء عن صيد السمك! وكذلك ساكن الدنيا ما أشغله عن مقتنياتها ولذاتها بخلاص نفسه! إن فطن لسوء وقوعه فيها. يكفيك وأنت في عالم الحس ما تقاسينه من آلامك[2] وأضدادها وأوساخها فلا تضيفي إلى آلامك شيئاً آخر، فتكوني كالغريق المرتهن في البحر قد حمل على عاتقه حجراً، وما أرى أن غريقاً ينجو من البحر مجرداً بنفسه، وإن نجا فبصعوبة، فكيف إذا حمل على عاتقه شيئاً آخر.

---

(1) ماأشغله على التعجب. هو شاذ لأنه لايتعجب من المجهول لكونه للمفعول. والتعجب إنما يكون من فعل الفاعل. وكذلك التفضيل لأنه شريك التعجب في جميع أحكامه، فقد شذَّ هذا الحرف وقالوا فيه هو أشغل من ذات النحْيَين والنحي زق أو جرة فخار يجعل فيها لبن يمخض.

(2) وفي بعض النسخ آلاتك.

يانفس إن سلوك طريق النجاة وطريق المهلكة يكون من قبلك بحسب ما عرفته وخبرته. وذلك أنه إذا كانت معرفتك بالمحسوسات فقط فإنه في وقت انتقالك إلى ما علمته إليها تنتقلين، ولفدحها[1] تكابدين ونحوها تتجهين، وبها ترتبطين. وإن كانت معرفتك بالمعقولات وآثرتها على غيرها فنحوها تتجهين وإليها تنتقلين، وبها ترتبطين.

يانفس هذه دار المحسوسات ودار المعقولات حاضرة بين يديك وكلاهما قد جربته وشاهدته فتخيري أيّهما شئت غير مدفوعة ولا ممنوعة. واذهبي إلى أحظاهما عندك فإن اخترت اللبوث في دار الحس فأقيمي على ماقد جربته وعرفته؛ وإن أحببت المصير إلى دار العقل فينبغي لك قبل الانفصال أن تتصوري معنى طريقك[2] وسلوكك إياه على ترتيبه محلاً بعد محل حتى تنتهي إلى محل المستقر. فإن كنت يانفس ذاكرة لهذا الطريق فاحذري أن يحول بينك وبينه النسيان والخوف وقت الانفصال، فتضلي وتتوهي، وإن كنت يانفس ناسية لهذا الطريق فتذكريه واستعيني على تذكره بوصف سالكيه وخابريه، فإنهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى والأدلاء[3] على المسلك إلى العلى، فالتزمي وارتبطي بأدبهم فإنك إن لزمت فعلهم فمعهم تخلصين. واعلمي يانفس أن كل شيء يذهب وينتقل إلى نحو العلو ينبغي أن يكون خفيفاً صافياً نقياً ليكون أسرع مروراً إلى غايته، وأن كل شيء يذهب إلى

---

(1) أي ثقلها.

(2) يذكر ويؤنث.

(3) الأدلاء جمع دليل ويجمع أيضاً على أدلة ودلائل والأخير نادر. والأول غلب استعماله للعاقلين. والدليل المرشد إلى المطلوب، ومنه يادليل المتحيرين، أي ياهاديهم إلى مابه تزول حيرتهم. ويراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول، ومنه سمي الدخان دليلاً على النار. واسم الدليل يقع على كل مايعرف به المدلول حسياً كان أو غير حسي، حتى سمي الحس والعقل والنص والقياس وخبر الواحد وظواهر النصوص كلها أدلة، والدلالة كون الشيء بحيث يفيد علماً إذا لم يكن في الغير مانع كمزاحمة الوهم والغفلة بسبب الشواغل الجسمانية. والدال من حصل منه ذلك والدليل في المبالغة كعالم وعليم وقادر وقدير. ثم سمي الدال والدليل دلالةً لتسمية الشيء بمصدره. والدلالة أعم من الإرشاد والهداية، والاتصال بالفعل معتبر في الإرشاد دون الدلالة. والدليل المرجح أن يكنْ قطعياً سمي تفسيراً. وإن كان ظناً كان تأويلاً. وإن كان من الكلي إلى الكلي سمي برهاناً. أو من الكلي إلى البعض سمي استقراءً. أو من البعض إلى البعض سمي تمثيلاً. وإن كان من المعلول إلى العلة سمي برهاناً أنياً وعكسه من العلة إلى المعلول سمي تعليلاً وبرهاناً لمياً. واللمي أولى وأفيد وأشرف. والدلالة تتضمن الاطلاع ولهذا تتعدى بعلى. وما كان للإنسان اختيار في معنى الدلالة فهو بفتح الدال ومالم يكن له اختيار في ذلك فبكسرها. مثاله إذا قلت دلالة الخير لزيد فهو بالفتح أي له اختيار في الدلالة على الخير. وإذا كسرتها فمعناه حينئذ صار الخير سجية لزيد فيصدر منه كيفما كان.

أسفل. ينبغي أن يكون ثقيلاً كدراً، وعلى حسب كدره وثقله تكون سرعة مروره إلى غايته.

يانفس إن الأصناف الشريفة ترد من عالمها إلى عالم الطبيعة ورود مختبر له. فإذا استعملت الآلات التي تشافه بها الطعوم[1] والروائح والمبصرات وكل الأشياء المبصرة العارضة في الحس، نسيت عالمها وكل مافيه. وظنت أنه لاشيء غير ما تشاهده في الحس. فحينئذ تنسى عالم العقل وتعدم ذكره. فإذا ولت[2] عن النوع الناطق قيل إنها قد ماتت، ومضتً مع جريان الطبيعة. فمتى عادت إلى الكون الأول ثم ذكرت عالمها بعض الذكر، قيل إنها حييت من مماتها. وحينئذ تتعلق بالمعنى الذي قد ذكرته مستكشفة له وباحثة عنه وعن كل المعاني التي نسيتها أولاً. وكلً ما علقت شيئاً مما نسيته انجلى بصرها وقويت صحتها وفارقت مرضها. وعند ذلك تدرك ببصر عقلها. إن كل ماهي مشاهدة له في عالم الحس إنما هو خيالات أشياء لا أشياء بالحقيقة. وخيال الشيء هو ظل الشيء الحقيقي على وجه الأرض والماء. وإنما عرض للنفس مرابطة[3] أشكال الأنواع دون الأنواع عينها. لنسيانها عالم الحس وبتأملها هذه المعاني وتذكرها لها تكون صحتها من مرضها، وعقلها بعد جهلها. فتذهب راجعة إلى تأمل المعاني الحقيقية والحياة الدائمة السرمدية.

يانفس تأملي قولي وافقهيه واعلمي أن العقل للنفس كالأب، والطبيعة له كالزوجة، وأن للنفس جهتين تميل إليهما فتارة تميل نحو العقل الطبيعي الحقيقي. وتارة تميل نحو الطبيعة بالهوى كالعشق الذي يكون بين الرجل وزوجته وهذا هو القول العرضي الزائل. فتأملي يانفس الرجل إذا خلا بزوجته، كيف تقابله بالملاعبة والضحك والملق وتكلمه بألطف مايكون من الكلام وأرقّه. وليس ظاهر ماتبدي كباطنه، لأنها إنما تفعل ذلك لتستعبده به وتستعمله في أغراضها وتسوقه إلى المهالك. فانظري يانفس إلى فعل الزوجة كيف تسقي العسل مخلوطاً بالسم القاتل الرديء العاقبة. ثم تأملي يانفس فعل الرجل إذا خلا بولده كيف يقابله بالعتب والتوبيخ ويكلمه بأمَرّ الكلام وأخشنه. وليس ظاهر مايبدي من ذلك كباطنه. لأنه إنما يريد بذلك تشريفه ومنفعته في كل حالاته. فانظري يانفس إلى فعل الأب

---

(1) الطعوم جمع الطعم وهو مايؤديه الذوق من حلاوة الشيء ومرارته ومابينهما يكون في الطعام والشراب وقيل أيضاً هو مايشتهى من الطعام.

(2) أي أدبرت.

(3) المرابطة المواظبة والملازمة.

كيف يسقي الدواء المر الكريه لولده مخلوطاً بالصحة والحياة وحسن العاقبة، فافهمي يانفس هذه المعاني فما كان صحيحاً فخذيه، وما كان محالاً وباطلاً فدعيه واطرحيه.

يانفس إنما لك أخاطب، وإليك أشير، وأياك أريد. إنما الطبيعة زوجك والعقل أبوك وإن لطمة من أبيك خير من قبلة من زوجتك.

يانفس إنه لابد لك من أبيك لأنه لاشيء يقطع النسب والنسبة بينك وبينه البتة لا الفرقة ولا الاجتماع. لا الغضب ولا الرضى بل النسبة ثابتة على كل حال. لايمكن زوالها لأنه قد يخلي الرجل سبيل زوجته فتنقطع علائقه منها، ولايمكنه أن ينفي نفسه من والده ويأخذ له والداً غيره.

يانفس إنك بإطاعتك للعقل تحيين وتشرفين، وبعصيانك إياه وإطاعتك للطبيعة تموتين وتهلكين. فتصوري يانفس حقيقة هذه المعاني وتمثلي بها توفقي للسعادة وتستكملي الرشاد.

* * *

الفصل السابع

يانفس حتى متى وإلى متى أنا سائقك إلى طريق النجاة والمنفعة فلا تنساقين. وأنت سائقتي إلى طريق المهلكة والمضرة لي ولك فلا أنساق معك. فإذ كان قد وجب هذا الخلف بيني وبينك فليس هنا يانفس غير المفارقة. إذن نفترق يانفس ويمضي كل واحد منا إلى حيث يهوى ويريد.

يانفس ما أنت منصفة ولا عادلة ولا عاقلة: أبوك مقبل عليك بتأديبه ومعاتبته النافعة لك عواقبها، اللذيذة ثمارها، وأنت معرضة عنه ومقبلة على زوجتكَ وخداعها وتضلالها[1] ولطف ملقها[2] المنتح لك الأحزان والهموم والمخافة والفقر.

يانفس إن فاتتك فرصة العمل بالنصيحة في أوان العمل فاتتك حلاوة الاستثمار والثواب على صالح الأعمال. فإنه من لم يغرس الشجرة في أوان غرسها لم يلتذ بالثمرة عند أوَان إدراك الثمر. فتيقني يانفس قولي هذا وافهميه إن كنت حية عاقلة، وإن كنت ميتة جاهلة فما أبعد تيقنك إياه وفطنتك له.

يانفس تيقني أن الأصناف الشريفة إنما وردت إلى عالم الكون لتختبره. فلما وردته وشافهت معانيه نسيت عالمها العقلي وجهلت ذاتها النورانية. ومتى أدركت ذكر ما نسيته فقد صارت مشاهدة للحالين جميعهاً ومميزة بينهما كالشرف والخساسة. وملكت التخير في أن تلبث عند أيهما شاءت. فإذا أدركت ببصيرة عقلها علوّ المرتبة الشريفة على دنوّ المرتبة الخسيسة فحينئذ تؤثر الرجوع إلى مناسبها بالمعنى الذي به تتصل وتنفصل مما قارنها بالعرض راغبةً عنه زاهدةً فيه. فتحققي ذلك يانفس فإن لك تحته راحة كثيرة وفائدة عظيمة وسعادة دائمة باقية مضيئة.

يانفس إن المواعظ والتنبيه صقال النفوس من الصدأ، وإن المرآة الصدئة بالعرض السريع الزوال يمكن للصيقل جلاؤها. وأما المرآة التي قبلت الصدأ بالعرض الثابت البطيء الزوال

---

(1) أي تضليلها لأنها تصيرك إلى الضلال.

(2) إعطائها من الود بلسانها. ماليس في جنانها.

الخارج عن حدّ القوة إلى الفعل. فقد صار لها ذلك الصدأ طبعاً ثانياً مستحكماً فلا ينجح فيها عمل الصيقل. ولايستخرج الصدأ منها إلا بإعادتها إلى النار والسبك. وكذلك النفوس العرضية الكدر، تنجلي بالتنبيه والمواعظ فتذكر سالفات أمورها. فأما النفوس الطبيعية الوسخة الكدرة فليس يصدأها[1] إلا دخولها إلى مرتبة العذاب وطول لبوثها فيه وترددها إليه.

يانفس كم يتردد الذهب الكثير الغش إلى النار قبل أن يصفو ويتهذب، وكم يدخل العود المعوج النار قبل أن يتقوم، وكم تعود الحنطة إلى الغربال قبل أن يذهب غلثها[2] وغشها[3]، وكم تقاسي النفوس الخبيثة الصدئة من ألوان العذاب قبل أن تستقيم وترجع.

يانفس إنه لايمكن لأحد أن يعرف فضل حلاوة العسل على مرارة الصبر دون أن يذوقهما جميعاً ويلعق منهما ويعقلهما بالتمييز. وكذلك لايمكن للنفس أن تعرف فضل حلاوة النعيم على مرارة العذاب دون أن تذوقهما جميعاً وتعقلهما.

يانفس كم بين الخارج من شيء قد خبره وذاقه وزهد فيه. وبين الداخل إليه الراغب في أن يذوقه ويختبره؟

يانفس أن المقاتل في الحرب يتمنى الخروج من كرب القتال وثقل السلاح. والذي لم يشاهد الحرب قط يشتهي أن يلاقيها ويذوقها. فإن قلت يانفس إنك قد وصلت إلى غايتك مما جرَّبته وحزته. فارجعي الآن إلى نهايتك مما كنت قد نسيته.

يانفس متى أردت الاعتبار الأكبر فانصرفي إلى تأمل الشيء الأبدي الديمومة، الأزلي الغاية، السرمدي المسافة، إذ لا حد لشيء سرمدي[4] الذي هو مبدئ الأشياء كلها عند ظهورها. ومعيدها عند دثورها، والذي هو باسط الأشياء وقابضها، ومبدأها ومعادها. وواضعها ورافعها، كلاً بعد كل وفرعاً بعد فرع.

---

(1) أي يجلوها من الصدأ.

(2) الغلث والفعل غلث الشيء يغلثه كعتله أي خلطه بشيء والاسم الغلث والغليث الطعام يُغثُّ بالشعير والمدر (التراب المتلبد) والزؤان والغليث خبز من شعير وحنطة.

(3) الغش هو الكدر في كل شيء والغشش الكدر المشوب.

(4) الازل هو اسم لما يضيق القلب عن تقدير بداءته. من الأزل وهو الضيق. والابد اسم لما ينفر القلب عن تقدير نهايته من الأبود وهو النفور. والسرمد من السرد وهو التوالي والتعاقب. سمي الزمان به لذلك وزادوا عليه الميم ليفيد المبالغة في ذلك المعنى. فالأزل هو مالا بداية له في أوله كالقدم. والأبد مالا نهاية له في آخره كالبقاء. يجمعهما واجب الوجود كالاستمرار.

يانفس تأملي الأشياء الجزئية كيف تضعف قواها عن الثبات والديمومة فترتد عن كيانها. وترجع إلى كلياتها. وكذلك الأشياء الكلية تضعف عن المساواة في الديمومة الأصل الفردي الأزلي فتدثر[1] عند انحلال قواها. وتناهي مدتها دفعة واحدة. وكذلك توجد الأشياء تارة بالفعل وتارة بالقوة دائماً وسرمداً.

يانفس كم بين خليل يزري بك[2] ويحسدك ويحوجك ويفقرك ويحزنك ويفزعك ويغمك ويجهلك[3] ويغشك ويكدك. تشتهين البصر فيعميك، وتحاولين الرشاد فيطغيك. يقيدك بالمقتنيات الزائلة البائدة التي لاحقيقة لها، ويمنيك بالأماني الكاذبة الخسيسة التي لاوجود لها. فأنت بسببه محتاجة أبداً فقيرة خائفة حزينة ذليلة مسكينة مظلمة صدئة مستعبدة. كلما أغنيته ازداد فقراً. وكلما طهرته ازداد نجاسة ودنساً. وكلما صححته ازداد مرضاً وانتقاضاً. تتوهمين دوام خلته وثباته وهو مسرع بجريانه إلى تركك والذهاب عنك. يذيقك غصص الفراق وتوه العقل[4] وهذا كله يجري عليك بضلالتك ونقصك وعماك وجهلك. فكم بين هذا الخليل يا نفس وبين خليل غيره تصحبينه، إن افتقرت أغناك، وإن ضللت هداك، وإن جهلت علمك. وإن عميت بصرك. لايلزمك بمؤونة ولا كلفة ولا اهتمام ولا خدمة. وهو معك أبداً لاتذوقين لمودته انقطاعاً. ولا لوجوده فقداً ولا فراقاً. كلما دمت معه اكتسبت من شرفه شرفاً، ومن نوره نوراً، ومن حياته حياة، ومن علمه وبصيرته علماً وبصيرة. ومن غنائه وعزّه غناء وعزّاً. يقنيك[5] بالمقتنيات الدائمة الأبدية، ويفيض عليك بالذات الموجودة الخفية. فأنت معه رابحة غير خاسرة فتمثلي هذا الخليل يانفس واقترني به وانضمي إليه واتحدي به.

---

(1) أي تندرس وتنمحي.
(2) أي يحط من قدرك ويدخل عليك العيوب.
(3) ينسبك إلى الجهل.
(4) أي اضطرابه.
(5) يقنيك أي يعطيك مايقتنى من القنية الأبدية.

الفصل الثامن

يانفس إن من كان له حبيب وفقده ثم وجد بعد فقده إياه عوضاً منه وبديلاً يوشك أن يسلاه وينساه، ولاسيما إذا كان الآتي أوفق وأحمد من الماضي. ومن فقد حبيباً ثم لم يجد منه عوضاً يوشك أن يطول حزنه وتعظم حسرته. ومن السياسة يانفس إن كان له خليل أنت متحققة لفقده وفراقه أن ترتادي منه بديلاً وعوضاً، وتلتمسي لك صاحباً وقريناً غيره ومن الواجب أن يكون المستأنف أوفق وأحمد من الماضي، فإنه من فقد شيئاً ثم وجد ماهو خير منه تحولت مصيبته إلى نعمةٍ وحسرته إلى فرحٍ وسرور.

يانفس من قبل مزايلتك عالم الكون والفساد تمكني من مواصلتك عالم العقل. ومن قبل مفارقتك قرينك الغادر الدنيء الفاني تخيلي فراقه وتمثليه وتخلي عنه رويداً رويداً، واستقبلي مواصلة خليلك الآتي وأنْسي به وانضافي إليه رويداً رويداً.

يانفس إن من سكن منزلاً فأبغضه وأراد الخروج منه، فينبغي له أن يرتاد موضعاً غيره قبل نقلته. فإن من انتقل من موضع، ولم يعرف له موضعاً غيره ينتقل إليه، يوشك أن يبقى تائهاً مضطراً لاضطرار يلجئه إلى السكنى حيث وجد على غير ترتيب ولا اختيار. فلعله يسكن بالضرورة في موضعٍ شرٍ من موضعه الأول فيتنغص عيشه وتتكدر حياته.

يانفس إنه مامن أحد يسكن في موضع ضيق خرب وحش، إلا وهو يشتهي أن ينتقل منه إلى موضع أشرف من الأول وأوسع وأبهى، فما بالك أنت يانفس تؤثرين السكنى في المساكن المظلمة الخربة الوحشة، وتتركين المساكن النيرة المضيئة الآنسة؟ فإلى متى تكونين عمارة للخرَب[1] الوحشة وتكون مساكنك الحقيقية معطلة خالية منك.

يانفس تيقني ما أقوله لك وتدبريه، وإن كنت متحققة لشيء غير ماتدركينه بالحواس الخمس، فقد توجهت إلى طريق نجاحك، وإن كنت لم تتحققي شيئاً من الأشياء إلا ما تشاهدينه ببصر الجسد وسمعه وذوقه وشمه ولمسه، فإنت إذاً موقوفة على طريق العطب ومقاساة العذاب.

---

(1) تعمر الخرب بسكناك فيها وتأنس بمقامك بها.

يانفس إنَّ حدّ الاتقاء كلمة يجب أن تعرفي معناها، فحدَّ الاتقاء[1] أن تتقي الأشياء الضارة لك. وإن شيئين يكون أحدهما ضاراً للآخر فينبغي أن يكونا مختلفين في معناهما. لأن المضرة إنما تكون بالمخالفة، كما أن المنفعة إنما تكون بالاتفاق. ومن اتقى الأشياء الضارة له كان متقياً بالحقيقة. ومن واصل الأشياء الضارة له واتقى الأشياء النافعة، فقد صار بالحقيقة غير متق لا لضار ولا لنافع. ويقال ايضاً إنه غير متق إن اتقى ماينفعه وواصل ما يضره. وليس يوجدُ في الموجودات شيء لايكون ضاراً ولا نافعاً. فإن آثرت يانفس المنفعة فواصلي الأشياء الموافقة لك في معانيك. وإن آثرت المضرة فواصلي الأشياء المخالفة لك في معانيك، وإن آثرت الحيرة والتوهان والاشتراك والشكوك فواصلي الأشياء النافعة والأشياء الضارة جميعاً[2] إذ لاتجدين حالاً من الأحوال غير ما قد رسمته لك. فتيقني يانفس هذه المعاني، فإن كنت نيرة مضيئة فلا تشاكلي الظَّلَمَة وإن كنت حية ناطقة فلا تشابهي الموتى البكم وإن كنت عاقلة مميزة فلا تشابهي الجهال والعميان. يانفس تهدي[3] إلى الشيء النافع لك باتفاقكما في المعنى، وتهدي إلى الشيء الضار لك باختلافكما في المعنى، فما كان نافعاً لك فخذيه وما كان ضاراً لك فاطرحيه واحذريه.

يانفس إذا عزمت على النقلة من مسكن أنت ساكنته، فانتقلي إلى مسكن يكون أشرف من المسكن الأول ليشتد سرورك بنقلتك. فإنه من انتقل من بيت مظلم ضيق خرب وحش إلى بيت نير مضيء رحب آنس، يوشك أن يبقى مسروراً بنقلته فرحاً بحسن عاقبته.

يا نفس احذري الخطأ في السياسة فإن ثمرة الخطأ العذاب بعينه؛ لأن الخطأ والزلل لايستثمر منهما إلا خطأ وزللٌ وسوء عاقبة. وإن ثمرة الإصابة وحسن التهدي هي النعيم بعينه لأن الإصابة وحسن التهدي لايستثمر منهما إلا إصابة وهدى وحسن عاقبة.

يا نفس أنه من غرس النخل وأجاد خدمته أكل الرطب والتمر وحمد عاقبته. ومن غرس الصفصاف والعُلَّيق عدم الثمر وذهبت خدمته وتعبه باطلاً وذم عاقبته. فتهدَّي يانفس في جميع أحوالك إلى أخذ ماهو نافع لك، وترك ما هو ضار لتكوني من النفوس الموفقة الرشيدة المقترنة بالسعادة الأبدية الدائمة.

---

(1) الاتقاء. افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة وشدة الحرص والاحتراس من المكروه. والمتقي اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وعن كل مايؤثم من فعل أو ترك، وعن كل مايشغل عن الحق.

(2) أي جامعة بين النافع والضار.

(3) أي اهتدي لأنه يقال في مضارع اهتدى يهتدي وتهدَّى أو هو من تهدَّى بمعناه.

الفصل التاسع

يانفس تيقني ما أنا باسطة لك وممثلة. فإني اختبرت هذا العالم وبحثت عنه فوجدت هيولاه على جهة ابتداء لا على معنى اختيار. فكل مالطف وشرف امتاز[1] إلى العلو. وكل ما تكاثف وخشن امتاز إلى أسفل. ثم وجدت الحركة الفلكية تقسم هيولى هذا العالم إلى أربعة أصول، وهي النار والهواء والماء والأرض. وإني اعتبرت هذه الأركان الأربعة في حركاتها ومعانيها فوجدتها تتحرك بالطبع حركة هيام وموت، لا حركة عقل وحياة وإني وجدت أشياء كائنة من هذه الأركان ذات حياة ونطق وعقل. فعجبت كيف تكون الأشياء الميتة الجاهلة أصولاً للأشياء الحية العاقلة؟ ثم قلت لعل هذه الأركان إذا امتزجت في بدن الحيوان الناطق أحدثت فيها حياة وعقلاً. ولكن كيف يسوغ في العقل أن يمتزج الميت بالميت فينتج منهما حيٌّ، أو يمتزج جهل بجهل فيكون منهما عقل. فدفعتني الضرورة حينئذ إلى أن أقول: إن هذا الشيء الحي العاقل هو شيء ليس من هيولى هذا العالم، أعني عالمَ الكون والفساد، بل من أشياء طارئة عليه غريبة عنه واردة إليه وصادرة عنه، وإنه من الممتنع أن يكون الموت ينبوع الحياة وأن يكون الجهل ينبوع العقل؟ فينبغي يانفس أن تتيقني أن هذا الشيء الحي العاقل ليس هو من أركان هذا العالم. بل هو شيء آخر غيره فابحثي عنه لتعرفيه واستشفي حاله لتختبريه فبذلك تسعدين وتستكملين علماً وكمالاً.

يانفس إن من أصعب الأشياء وأشدها امتناعاً أن تعمل صنعة[2] الصياغة بأداة الفلاحة، أو صنعه النجارة بإداة الخياطة. ولكل صناعة أداة لن يستوي عملها إلا بها لابغيرها. وإذا كان الإنسان عارفاً لكل الصنائع أيضاً، مستعملاً كل أدواتها، ينبغي له إذا أراد أن يعمل الخياطة أنْ يرمي من يده أداة الفلاحة ويأخذ للخياطة أداتها التي تصلح لها، وإذا أراد أن يعمل الفلاحة أن يرمي من يده أداة الخياطة ليأخذ للفلاحة أداتها التي تصلح لها. وكذلك يانفس ينبغي لمن أراد أن يدرك العلم وعمل الخير أن يرمي مِنْ يده أداة الجهل والشر ويأخذ

---

(1) أي انفصل عن غيره.

(2) الصنعة عمل الصانع والصناعة حرفته، والصنع إيجاد شيء مسبوق وبالتخصص تركيب الصورة في المادة.

للعلم والخير أداتهما التي تصلح لهما. وأداة العلم والخير بغض الدنيا والزهد فيها، وأداة الجهل والشر حب الدنيا والرغبة فيها. فمتى هممت يانفس بطلب العلم والخير فدعي من يدك أداة الشرّ كما قد تقرر في علمك أن الصنعة لاتعمل إلا بأداتها. وخذي للعلم والخير أداتهما فإنه متى عملتهما بأداتهما عملا بغير تعب ولا نصب. ومتى كان بيدك أداة الشر وأردت أن تعملي بها الخير امتنع ذلك عليك وصعب كما امتنع على من كان بيده أداة الفلاحة فأراد أن يعمل بها الصياغة، فطال تعبه ونصبه، ولم يتم له عمله، فتيقني يانفس هذا المعنى واعلمي أن حب الدنيا والخير لايجتمعان في قلب أبداً. كما أن بغض الدنيا والشر لايجتمعان في قلب أبداً. فتصوري يانفس حقيقة هذا وأدركيه ببصر عقلك.

يانفس إنك بالعلم تدركين ببصيرتك اتصالك ببارئك ومناسبتك إياه، فتلتذين بذلك لذة الحق، وإنه بالجهل تعدمين ذلك وتنكرينه، وذلك بعماك وظلمتك وخطئك وزللك وتزعمين بالوهم[1] أنك من الأصناف الخسيسة، وتلحقين بها فتلازمينها وتقترنين بألوان العذاب والآلام.

يانفس ليكن غرضك كله العلم والحق. فإذا اقتنيت ذلك فانهضي وتوكئي على الفكر والتمييز دائماً لتدركي بذلك الإصابة، وتجري عاداتك بها، ويحدّ إليها نظرك[2]، فتفعلين حينئذ فعل المصيب البصير النير المهتدي، وتنسين الجهل والعمل به والخطأ فتتركينه، وتعدمين فعل الجاهل العمي المخطي. فتدبري هذا واعتبريه فإنك باعتبارك إياه تجدين حقيقته.

يانفس إن حد العذاب مشاهدة النفس ما اختلف وتغيّر. وإن حد النعيم مشاهدة النفس ما اتفق ودام وثبت دائماً، والبرهان على ذلك يانفس ماتشاهدينه في عالم الحسّ فإن أشد الناس خوفاً وجزعاً واستكانة[3] من كان في نعيم ثم عدمه وانتقل إلى الشقاء، فهناك مقاساة

---

(1) الوهم في القاموس خطران القلب أو مرجوح طرفي المتردّد فيه. وهو عبارة عما يقع في الحيوان من جنس المعرفة من غير سبب موضوع للعلم. وهو أضعف من الظن. ومعرفتها تتوقف على حكم القلب. وذلك أن القلب إن كان جازماً بحكم الشيء إيجاباً أو سلباً ولم يطابق كان جهلاً، وإن طابق ولم يكن حكمه بدليل كان تقليداً. وإن كان بدليل موجب عقلي أو حسي أو مركب منهما كان علماً. وإن لم يكن جازماً. فإن استوى الطرفان كان شكاً، وإلاّ كان الراجح ظناً والمرجوح وهماً.
وكثيراً مايستعمل الوهم في الظن الفاسد استعمال العلم في الظن الغالب. والفرق بين الموهوم والمتوقع. أن الموهوم نادر الوقوع. والمتوقع كثير الوقوع.

(2) من أحدّ إليه النظر إذا بالغ في النظر إليه.

(3) أي ذلاً ونجعاً.

الاختلاف والتغيّر. وإن إنساناً نشأ في العذاب واعتاده فهو لايعرف سواه ولن يلقى جزعاً خائفاً كالذي كان في النعيم وانتقل إلى الشقاء. فقد تبين يانفس أن العذاب هو الاختلاف والتغير وأن النعيم هو الوحدة[1] والاتفاق الدائم. فإن أردت يانفس الراحة من العذاب فانتقلي من عالم الاختلاف والتغير إلى عالم الوحدة والدوام والبقاء.

يانفس أن التجار لايظهرون بضائعهم ويزينونها لتراها العميان لكن ليراها ذوو الأبصار الصحيحة. وكذلك القصاص والمتكلمون إنما يتكلمون على قوارع الطريق لالتسمعهم الصمّ وإنما ليسمعهم ذوو الآذان السامعة الصحيحة. وكذلك الحكماء لاينطقون بالحكمة ويشيرون إلى المعاني السامية للنفوس السالكة في رتبة الموت، وإنما يَؤمّون النفوس السالكة في رتبة الحياة. وهي نفوس راغبة في المعاني وواردة إليها. لكن تلك النفوس السالكة في رتبة الموت هي نفوس غير راغبة في المعاني وصادرة عنها، وزاهدة فيها. فتأملي يانفس هذا المعنى واعلمي أنه شتان بين الوارد والصادر وبين الراغب والزاهد.

يا نفس إن كرهت العقاب فاتقي الزلل واحذريه، وتجنبي الخطأ واطرحيه. وإنْ آثرت الثواب فتهدّي إلى الإصابة، واعلمي أن مقاصد النفس في جميع معانيها تكون على حالين هما الخطأ والإصابة، وأنه لن يخلو الخطأ من ثمر العقاب والخسران، ولن تخلو الإصابة من ثمر الثواب والربح. فإنْ لم يكن ذلك كذلك يكن الخطأ ثمرة الثواب. والإصابة ثمرها العقاب وهذا مالايسوغ في العقل ولايوجد في مشاهدة الحس. فقد وجب ضرورة أن يكون الخطأ ثمره العقاب بالحقيقة، وأن تكون الإصابة ثمرها الثواب.

يانفس إنك بانضيافك إلى العقل، يقوى ضَوْءُك فتدركين الإصابة ببصرك. وبانحرافك عن العقل وانضيافك إلى الحس. تعدمين النور العقلي فتظلمين وتضعفين وتعثرين بالخطأ بعماك وظلمتك.

يانفس إن الطبيب لن يأمر العليل أن يأكل ما يضره، فإن أطاعه أصاب وأنتجت له الإصابة البرء والصحة وإنْ عصاه أخطأ وأنتج له الخطأ السقم والألم.

---

(1) الوحدة كون الشيء واحداً أي بحيث لاينقسم. والوحدة أنواع فهي في النوع تسمى مماثلة، وفي الجنس مشاكلة، وفي الكيف مشابهة، وفي الكم مساواة، وفي الوضع موازاة ومحاذاة، وفي الإطراق مطابقة. وفي النسبة مناسبة، وتطلق ويراد بها عدم التجزئة والانقسام.

يانفس إن أردت أن تعرفي حال النفس بعد مفارقتها الجسد فانظري إلى حالها وهي ملازمة له . فإن كانت موافقة للإصابة فإنه بعد مفارقتها الجسد لن تؤديها عادتها بالإصابة إلا إلى الإصابة وحسن العاقبة والثواب ، وإن كانتْ مقارِفَةً للخطأ فإن عادتها لن تؤديها إلا إلى الخطأ . والخطأ ينتج لها العقاب والعمى وسوء المنقلبَ .

الفصل العاشر

يانفس إني لأمثل حالك فيطول عجبي منه. تظهرين بالقول أنك زاهدة[1] في الشقاء والأحزان، وأنت بالفعل راغبة فيهما وملازمة لهما ومغالبة لأهلمهما عليهما. وتظهرين بالقول أنك راغبة في النعيم والسرور وأنت بالفعل زاهدة فيهما ومنحرفة عن الطريق إليهما. وهذا يانفس فعل مختلف، والفعل المختلف لايصدر إلا عن فاعل ليس بفرد ولا متوحد بل فيه اشتراك وتركيب، لأن الشيء الفرد لايفعل إلا فعلاً فرداً لا اختلاف فيه. والشيء المختلط لايفعل إلا فعلاً مختلطاً. فقد تبين الآن يانفس أنك لم تمحصي من غشك ولم تتهذبي من سوء مكتسباتك التي اكتسبتها في سالفات أدوارك. فقد تَبقَّى فيك جرب وصدأ وهو السبب في اختلاف مايظهر من فعلك. فإن كان الَصدأ فيَك بالعرض السريع الزوال فبادريه بالجلاء والصقال قبل أن يستحكم في ذاتك. وإن كان هذا الصدأ فيك مستحكماً باقياً. فعودي إلى النار لتسبكي فيها وتخرجي منها صافية محضة فإن المرآة ذات النقب[2] والصدأ الثابت لاينجح فيها الجلاء ولا ينقلع صدؤها إلا بالنار والسبك. فإذا أنت محصت يانفس من جربك وصدئك فحينئذ يتوحد بغير اشتراك ولا نفاق فتكونين إمّا راغبة في الشقاق والأحزان زاهدة في النعيم والسرور بالحقيقة، وإما راغبة في النعيم والسرور زاهدة في الشقاء والأحزان بالحقيقة. فاعملي يانفس بهذه الوصية لتوفقي للسعادة وترشدي إلى الإصابة فتستثمري جميل الثواب وحسن العاقبة.

يانفس تيقني أولاً أن الموت الطبيعي ليس هو شيئاً غير غيبة النفس عن الجسد، فإذا تقرر هذا في علمك فتأملي أن الرجل الحكيم العالم العاقل هو حكيم عالم عند حضوره، وهو حكيم عالم عند مغيبه، معه تنتقل حكمته وعلمه أينما توجه وأينما سلك. فتنتبهي يانفس لهذا المعنى وتيقني أيضاً بأن غارس شجرة الخير وغارس شجرة الشرّ بينهما بون عظيم واختلاف كبير في نتيجتهما، لأن شجرة الخير ليس ثمرها إلا خير وشجرة الشر ليس ثمرها إلا

---

(1) زهد فيه وعنه إذا رغب عنه وتركه.

(2) النقب الجرب أو القطع المتفرقة منه. كناية عن البقع والكلف التي توجد في المرآة القديمة.

شر فإن لم يكن ذلك كذلك فشجرة الخير إذاً ثمرها شر وشجرة الشر ثمرها خير. فإن كان هذا وكانت الشجرة ثمرها غير ما في طبعها، فينبغي لغارس شجرة الكرم أن يستثمر منها البلوط، ولغارس شجرة البلوط أن يستثمر منها العنب، ولسنا نرى شجرةً ثمرها غير ما في طبعها، وغير ما هي معروفة به منذ بدء العالم لأن شجرة الكرم ليس ثمرها إلا عنَبٌ وشجرة البلوط ليس ثمرها إلا بلُّوطٌ، فكيف يكون يانفس غارس شجرة الخير يستثمرَ غير الخير؟ وغارس شجرة الشر يستثمر غير الشر؟ فقد اتضح ضرورة وتبين حساً وعقلاً أنّ الشيء لا يلد إلا من نوعه وشكله، ولا يلد إلا مثله. وإلا فمتى رأيت يانفس حماراً قد أنتج إنساناً؟ وإنساناً ولد فرساً؟ فإن كان يانفس قد اتضح لك هذه المعاني فاطلبي العلم بحقائق الأشياء، وافعلي الخير واغرسي شجرته، لينجلي بصرك فتستثمري من علمك علماً، ومن فعلك الخير خيراً، ومن استبصارك بصيرة ونوراً وهدايةَ، فتسكنين بذلك المحل الأفضل وتستكملين السعادة الدائمة والأفراح الأبدية.

يانفس تمثلي ولو بالوهم مفارقة الحواس الخمس، ثم انظري بعد ذلك هل أنت مدركة شيئاً غير ما كنت مدركته بالحواس، فإن وجدت إدراك شيء غير ما كنت مشاهدة له بالحواس فقد بان رجوعك إلى عقلك وطبعك وبلوغك أربك، وذلك أن العقل إذا أراد إدراك شيء ما أفرده عما سواه وانتزعه مما قارنه، ثم أدركه إدراكاً فرداً بذاته الفردة؛ لأنه كما أن الحس لايدرك شيئاً فرداً؛ فكذلك العقل لايدرك شيئاً مركباً[1]، ولا يعلمه علماً عقلياً يقينياً دون أن يفرد معانيه ويميزها، وينتزع كل جنس منها فيجعله فرداً بذاته، وحينئذ يدرك معانيه كلها على الانفراد. فقد تبين أن الحس الذي هو شيء المركب، يدرك المركباتِ. وأن العقل الذي هو الفرد البسيط يدرك الأشياء البسيطة الفردة، فتأملي[2] يانفس كيف أن العقل كلما جرى

---

(1) المركب هو ماأريد بجزء لفظه الدلالة على جزء معناه. واعلم أن المركب التام المحتمل للصدق والكذب يسمى من حيث اشتماله على الحكم قضية. ومن حيث احتماله للصدق والكذب جزءاً. ومن حيث إفادة الحكم إخباراً. ومن حيث أنه جزء من الدليل مقدمة. ومن حيث يطلب منه الدليل نتيجة. ومن حيث يقع في العلم ويسأل عنه مسألة. والذات واحدة. فاختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات. والفرق بين التركيب والتأليف أن التركيب ضم الأشياء مؤتلفة كانت أولا مرتبة الوضع أولا. والتأليف جمع الاشياء المتناسبة. من الألفة وهو حقيقة في الأجسام. ومجاز في الحروف. فالمركب أعم من المؤلف والمؤلف أعم من المرتب والمرتب أعم من المنضد.

(2) كثيراً مايأمر النفس بالتأمل ونحوه فيحسن بنا أن نفيض في مالهم من الاعتبار فيه وفي أمثاله. فالتأمل استعمال الفكر. والتدبر تصرف القلب بالنظر في الدلائل. والأمر بالتدبر بغير فاء للسؤال في المقام وبالفاء يكون بمعنى التقرير والتحقيق لما بعده كذلك تأمل فليتأمل. وقال بعضهم تأمل بلا فاء إشارة

مع التركيب فارق الفردية وفارق أيضاً الإدراك الفردي الذي هو إدراك الحق واللذة بالحق والعلم بالحق. وكلما رجع عنه نحى إلى الوحدة وفارق التركيب، والاشتراك إدراك الأشياء الفردة الأبدية وعدم الأشياء المركبة الزمنية. فقد تبين من هذا الشرح أن حياة النفس في مفارقتها عالم الطبيعة، وأن موتها وطول عذابها في اللبوث فيه.

إلى الجواب القوي، وبالفاء إلى الجواب الضعيف، وفليتأمل إلى الجواب الأضعف، ومعنى تأمل: أن في هذا المحل دقة. ومعنى فتأمل: في هذا المجال أمر زائد على الدقة بتفصيل: ومعنى فليتأمل هكذا مع زيادة بناء على أن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى. ويحسن بنا التطرقً إلى اصطلاحات لهم من هذا القبيل كقولهم: (وفيه بحث) معناه أعم من أن يكون في هذا المقام تحقيق أو فساد فيحمل على المناسب للمحل، (وفيه نظر) يستعمل في لزوم الفساد. وإذا كان السؤال أقوى يقال (ولقائل) فجوابه (أقول أو نقول)، أي أقول أنا بإعانة سائر العلماء. وإذا كان ضعيفاً (فإن قيل) وجوابه (أجيب أو يقال) وإذا كان أضعف يقال (لايقال) وجوابه (لأنا نقول) وإذا كان قوياً يقال (فإن قلت) وجوابه (قلنا أو قلت). قيل فإن قلت (بالفاء) سؤال عن القريب (وبالواو) سؤال عن البعيد. (وقيل) فيما فيه اختلاف (والأظهر) فيما قوي الخلاف. (كالأصح) وإلا فالمشهو، (كالصحيح) وفي الجملة يستعمل في الإجمال (وبالجملة) في نتيجة التفصيل، (ومحصل الكلام) إجمال بعد تفصيل، (وحاصل الكلام) تفصيل بعد إجمال، (وفيه مافيه) أي تأمل فيه حتى يحصل مافيه أو مافيه أو مائبت فيه من الخلل والضعف حاصل فيه.

الفصل الحادي عشر

يا نفس إن هذا عالَم الطبيعة قد وردته واختبرته. فهل اختبرت منه شيئاً غير مبصرات موحشة[1]، ومسموعات مفزعة، وأطعمة مضجرة مؤلمة، وروائح كريهة منتنة، وملموسات نجسة دنسة. فلما وردت إلى هذه الأشياء اغتبطت بها إعجاباً وهوى وعشقاً وجوىً. ونسيت معانيك الذاتية الشريفة فلما عرفت خطأك وزللك أردت أن تشركي معك في خطئك غيرك وتحيلي الذنب على سواك. هيهات يانفس ليس الذنب إلا للذي أذنب وجنى، وليس الخطأ إلا للذي أذنب وجنى وليس الخطأ ألا للذي خطئ. فتلافي يانفس خطأك وزللك فإنك كما وقعت فيما تكرهين بهواك وشهوتك، فكذلك تخلصي منه بهواك وشهوتك.

يانفس إن كل مكروه أصابك وأنت في عالم الكون فأيقني[2] أن سببه وأصله هو من قبلك ومن حيث خطؤك وزللك. ومتى تذكرت ذلك ذكرته وعرفته. ومتى ورد عليك وارد من المكاره ولم تعرفي سببه وأصله فلا تحيليه على غيرك. بل اجعلي سببه وأصله خطأك القديم الذي قد نسيته. لأن من دخل دار المصائب وأتاها وأصابته مصيبة فإن ذلك بخطأته إذ أتى دار المصائب فدخلها وقد كان في سعة عن دخولها. وأعظم من هذا كله أنه قد حُذِّر منها فلم يحذر وخُوِّف منها فلم يخف، ونُصِح فلم يقبل واتبع هواه وشهوته.

يا نفس أما كنت وأنت خارج السجن تبصرين الأشياء وتسمعين الأخبار، فلما دخلت إلى السجن خفي عنك كله وصرت مسجونة أسيرة تتشوقين إلى خبر تسمعينه. وعلم تدركينه وتبصرينه. فما الذي حملك على دخولك السجن أليس هذا كله بخطئك.

يا نفس قد كنت وأنت في عالم الوحدة غنية مبصرة عالمة، تبصرين العوالم كلها منضدة بين يديك وهي كلها صافية نيرة مضيئة، وفي أسفلها عالم الكون والفساد أسود مظلم وهو يلوح منها كما يلوح الحجر الأسود في الماء الصافي. فَرَاق لك أن تدخليه لتختبريه وتستطلعي

---

(1) الموحشة ذات الوحشة والوحشة الهم والخلوة والانقطاع وبعد القلوب عن المودة والأرض المستوحشة أيضاً.
(2) الإيقان بالشيء هو العلم بحقيقته بعد النظر والاستدلال ولذلك لايوصف الله تعالى باليقين.

طلعة، فلما عزمت على ذلك خرجت عن رتبة الوحدة ونزلت إلى رتبة الاشتراك. ومضيت مع الحركة تطلبين ماهويته فصرت إلى عالم الكون والفساد. وكان مَثَلُك في خروجك من عالم الوحدة ورغبتك وشرهك في عالم المركبات، كالطائر القاصد الفخ المنصوب ليسلبه حبةً فسلبه الفخ المنصوب مهجته. أو كالسمكة التي في الماء أرادت أن تبلع طعم الصياد فبلعها الصياد. فأنت يانفس شابهت بنورك وصفائك عالم الظلمة ومازجته فغشي نورك وأظلمك وأعماك. وأخفى عنك جميع معلوماتك وماكنت تبصرينه. وبقيت أسيرة رهينة. يانفس هذا كله بخطئك القديم ولكن متى آثرت الرجوع يانفس فاقصدي الأشياء الضارة لك التي وجدت في الطبيعة فانسلخي عنها يانفس، وانقي منها فإن نقاك منها هو سبب خلاصك ورجوعك. وإني لأجمع لك هذه الأشياء[1] كلها في معنى واحد ليسهل عليك علمها وهو التلذذ الجسداني فكل ما وجدته لذيذاً بالجسد فاتركيه واحذريه. وكل ماوجدته لذيذاً بالعقل فخذيه واستعمليه.

يانفس إن النار تطفأ ونار الشهوة لاتطفأ، والأوجاع تعرض للبدن فتزول ويستراح منها، وأوجاع الشهوة لايستراح منها. إلا أن يداويها العقل ودواؤها تركها، واقتناء الصبر عنها لأن حياة الشهوة مواصلتها وموتها مقاطعتها والصبر عنها. وينبغي يانفس أن تعلمي أن شهوات الدنيا ليست كلها في المأكل والمشرب، بل فيها ماهو خارج عن ذلك. ولكن شهوة المأكل والمشرب أضرها، وذلك أن الجسد لايشتهي الأشربة إلا بعد أن يشبع، ولايشتهي الزنا إلا بعد أن يشبع، وكذلك الكسوة وجميع المقتنيات الحاملة للنفس على ركوب المهالك والمخاوف المخرجة لها إلى الضعة والخساسة والدناءة.

يانفس إني قد بصرتك فلا تتعامي، وقد صوبتك فلا تتخبطي فتعظم، حسرتك ويتضاعف عذابك باتباعك هواك وشهواتك.

يانفس الأعمى إذا مشى ووقع في جب كان معذوراً عند نفسه وعند غيره. فأما المبصر إذا أتى جباً وهو يبصره فألقى نفسه فيه بهواه وشهواته فأي عذر له عند نفسه وعند غيره؟

يانفس ما أعظم حسرة الواقع في المكروه بعلمٍ وبصيرة. وما أشد عذابه. ومعنى شدة عذابه علمه ومعرفته وفطنته لما فعل بنفسه فخذي يانفس هذه الوصايا واعلمي بها توفقي للسعادة وتفوزي بالنجاة.

---

(1) أي الضارة لك.

يانفس إنّ من عف عن شهوات الدنيا . عفت مصائب الدنيا عنه وخرج من الدنيا سالماً رابحاً وربحه قربه من الله . ومن أسرع إلى شهوات الدنيا أسرعت مصائب الدنيا إليه . وخرج من الدنيا سقيماً خاسراً وخسرانه بعده من الله . يانفس بهذا الضرب من التجارة اتَّجري وبمثل هذه المعاني تدبري ، لتفوزي بحسن التوفيق والسداد ويجذبك النور ولتهتدي إلى سبيل الرشاد .

الفصل الثاني عشر

يانفس إن من غرس شجرة الصبر أثمرت له ثمر الظفر وفاز بالغلبة، وإن أسعد السعداء من سما إلى شيء فظفر به ومن غرس شجرة الفشل أثمرت له الحرمان وإنَّ أشقى الأشقياء من سما إلى شيء فحرمه.

يانفس اقترني في مطلوباتك كلها بالصبر فإن الصبر خلق النفس الشريفة وهو الذي به يكتسب الخير وتدرك السعادة. وإني ممثل لك معاني عديدة فتحققي بها إن النفس هي الطالب وإن الخير هو المطلوب والصبر هو المعنى الذي ينبغي أن يظفر به الطالب. والتوفيق هو المعنى الذي هو الخير والجود. فإذا اتصل الفعل من الطالب بالفعل من المطلوب وجبت الوصلة وتم الانضياف. وإنما مثلت لك هذا المعنى لتعلمي أنه إنما تنال الأشياء كلها بالصبر وأن الخير لاينال إلا بالصبر.

يا نفس إن مرارة الصبر تثمر الحلاوة والراحة. وحلاوة الفشل تثمر ثمر المرارة والتعب.

يانفس اقتني الصبر والتعب في عبادة الله الواحد، فهو هناءٌ لعيشك وغناءٌ[1] لراحتك وصفاء لحياتك، واحذري أن يحوطك الملل والضجر فتخرجي عن حد الواحدانية، وتكثر آلهتك، ومن كثرت آلهته كثرت خدمته واشتد تعبه ونصبه وتوافرت همومه وتشعثت[2] نفسه فهلك.

يانفس إن الضجر والملل مقرونان بالنفوس البهيمية، والصبر والثبات مقرونان بالنفوس التامة الإنسانية. فلا يخرجك الضجر والملل عن حد الصبر فتسيري إلى الآلهة ثم تنقسمي وتشقي بعبادتهم وخدمتهم فتضجعي وتنحلي وينطفئ نورك وتضعف قوتك ويذهب شرفك ويزول سلطانك وهذا هو موتك فاحذريه وانحرفي عنه وعن معانيه.

يانفس ينبغي أن تقفي على معرفة ذاتك وما لها من المعاني والصور ولاتتوهمي أن خارج ذاتك شيئاً مما يجب أن تطلبي علمه. بل معلوماتك يكون معه الشيء وينسى أنه معه

---

(1) الغنى الكفاية واليسار وقال بعضهم غنى الدنيا وهو الكفاية مقصور. وغناء الآخرة وهو السلامة ممدود.
(2) أي تفرقت وفي نسخة وتشجبت نفسه فهلك في وجوه الشجب.

فيطلبه خارجاً عن ذاته ويتوه ثم يأتيه كلها هي معك وفيك فلا تتوهمي بطلبك ما هو معك فإن كثيراً من الناس يكون معه الشيء وينسى أنه معه فيطلبه خارجاً عن ذاته ويتوه ثم يأتيه فكره ويذكره فيجده مع نفسه لا خارجاً عنها. فتيقني يانفس أن لا شيء[1] من الأشياء المعلومة وجوداً دائماً أبدياً خارج عنك البتة، وإنما الشيء الخارج عنك هو ما امتاز من كدرك وثقلك في الابتداء الأول، وهو الشيء القابل للأعراض الجاري مع الكون، ولا شيء آخر يوجد غير هذا ولايخرج عنه البتة. فارجعي يانفس إلى ذاتك واطلبي جميع معلوماتك فيك لا خارجاً عنك. لاتخرجي عن ذاتك وترجعي إلى كدرك وتطلبي علم مافيه فتقعي في تيار الاختلاف وتتلاعب بك الأغراض كما يتلاعب البحر الهائج بما فيه من السفن. ويتم آخر أمرك أن لاتكتسبي منه خيراً ولاتحصلي منه على علم فتحققي هذا القول وتدبريه ولاتنسي الشيء الذي هو معك، وتمضي تطلبينه في موضع آخر. فإن ما ينبغي أن تعلمه النفس هو النفس فلا هو عازب عنها ولا هي تغيبه[2] بل يعرض للحس الذي هو الجسد.

يا نفس إن أداة الصانع إذا خَلِقَت[3] أو إذا كانت مُثَلَّمة ولا أحد يستخدمها. فما أقل منفعتها له وجدواها عليه. ولَتركُهَا أولى من استعمالها، واستبدالها أصلح من الشح بها والحرص عليها.

يانفس إنه ليجب على الصانع متى وجد الأداة المحمودة أن يعمل بها ويكد ويحرص على الاكتساب وجمع الأموال. وإن الصانع إذا كثر ماله استغنى عن العمل. وإذا استغنى عن العمل باع الأداة بالثمن البخس واستراح من الكد والتعب.

يانفس تلطفي في اتخاذ الأداة المحمودة وإذا وجدتها فأحسني سياستها بالعدل. واستأنفي الكد والاكتساب والاقتناء. فإذا نلت الغنى وكثر مالك فينبغي أن تبيعي أداتك بأوكس ثمن وفوزي بما اكتسبته وانصرفي من محل الاكتساب.

---

(1) الشيء لغة مايصح أن يعلم ويخبر عنه فيشمل الموجود والمعدوم ممكناً أو محالاً واصطلاحاً، خاص بالموجود خارجياً كان أو ذهنياً، والشيء أعم العام كما أن الله أخص الخاص. وهو مذكر يطلق على المذكر والمؤنث. ويقع على الواجب والأمكن والممتنع وهو في الأصل مصدر شاء.

(2) أي أن النفس ليست هي التي تبعده وتواريه بل الجسد يحول أحياناً بينهما ويكون السبب في ذلك.

(3) من خلق الثوب إذا بلي.

يانفس افهمي هذا بصحة منك فإن العليل[1] لايذوق حلاوة العسل ولايجد له لذة، بل الصحيح هو الذي يدرك لذته ويذوق حلاوته، وكذلك ليس يلتذ بكلام الحق إلا من يدرك ذوقه ويفطن لمعانيه بصحة من عقله. فأما العقل المريض بالجهل والنسيان والهم والحزن والحذر والخوف[2]، وهذه هي الأمراض العقلية، فإن مرضه يعوقه ويمنعه عن ذوق الكلام والفطنة لمعانيه. فتمثلي يانفس هذه الوصية وأيقني بحقيقتها.

(1) وفي بعض النسخ فإن العليل بالمرة الصفراء.

(2) الخوف غم يلحق لتوقع مكروه وكذا الهم وأما الحزن فهو غم يلحق من فوات نافع أو حصول ضار. والخوف علة المتوقع والحزن علة الواقع. والخشية أشد من الخوف. ولذلك خصت الخشية بالله، في قوله ويخشون ربهم. والخشية تكون من عظم المخشي وإن كان قوياً. والخوف يكون من ضعف الخائف إن كان المخوف أمراً يسيراً. وأصل الخشية خوف مع تعظيم، ولذلك خص بها العلماء في قوله .إنما يخشى الله من عباده العلماء. وإذا قلت الشيء مخوف كان إخباراً عما حصل منه الخوف كقولك الطريق مخوف. وإذا قلت الشيء مخيف. كان إخباراً عما يتولد منه الخوف كقولك مريض مخيف أي بتولد الخوف لمن شاهده. والحذر شدة الخوف. والرهبة خوف معه تحرز. والرعب الفزع.

الفصل الثالث عشر

يانفس ينبغي أن تعلمي وتتيقني أن حد اللذة بالحقيقة هو مالا يمل. ومتى طلبت النفس في عالم الكون لذة فقد سمت إلى غير موجود وطلبت ما لايمكن. والدليل البين على أن جميع ما تشافهه النفس في هذه الدنيا مملول. والمملول لاينبغي أن يسمى لذة إذ كان حد اللذة ما لايمل. أو ما تنظرين يانفس إلى أكثر أهل الدنيا كيف يبحثون في طلب اللذات ويتوهمون أنها موجودة في الدنيا، وليست هي بموجودة. فتيقني يانفس أن الناس يطلبون في الدنيا ما ليس فيها.

يانفس تأملي نفوس الناس كيف ترد إلى معاني الدنيا كلها فتشافهها مشافهة ذائق مختبر ثم تصد عنها صدود ملول ضجر. وليس أحد في هذه الدنيا براض بمنزلته فيها بل ملول ضجر منها. وهذا من أوضح الدلائل على أن النفوس إنما تبحث في هذا العالم وتطلب منزلة توازي شرفها، وتضاهي معانيها، فلا تصيب ذلك. فهي مقبلة مدبرة في طلب ماترتضيه، ومتى حصل في النفس حقيقة هذا الشرح اقتنت اليأس وأزالت الطمع من مطالبة اللذات، وهي في عالم الكون والفساد.

يانفس كيف يوجد في الدنيا لذة وكل رتبة تقف النفس عليها في الدنيا تحتاج إلى الصبر والصبر مر المذاق. وكل شيء إذا خالطته المرارة يصير مراً. ومتى نفرت النفس من الصبر والتأدب به ثم ذهبت تطلب المعنى المرضي لها، حصلت على التوهان. تذوق هذا وتتركه. وتواصل هذا ثم تقطعه. وترغب في هذا ثم ترفضه. وهذا معنى قبيح وفعل خسيس وخلق دنيء. ومتى تأدبت النفس بالصبر على أي رتبة كانت من رتب الدنيا فقد اقترنت بها مرارة الصبر. وقد حصل من هذا الشرح كله، إمّا أن يكون الإنسان تائهاً ذوّاقاً[1] فيحصل على رتبة الخساسة والدناءة. وإمّا أن يرضى برتبة صالحة من رتب الدنيا مع الصبر عليها فيحصل على مقاساة المرارة مدة مقامه في عالم الطبيعة. ولأكل المرارة مع اكتساب الشرف والعز. خير من أكل الحلاوة مع اكتساب الخساسة والدناءة.

يانفس إن غرض الحق ومقتضى العقل أن تكون الأشياء على ترتيبها الطبيعي ثابتة. فإذا

---

(1) الذواق الكثير الذوق.

كانت كذلك فما أحسنها وأجملها وأعدلها وذلك كالصانع الذي ينبغي له أن يكون هو الذي يستعمل الأداة لا الأداة مستعملة له. والفارس الذي ينبغي له أن يدبر الفرس ويجريه ويروضه لا أن يكون الفرس يدبر الفارس. وكالسلطان الذي من الواجب أن يكون هو المدبر للرعية والسائس لها لا أن تكون الرعية هي تدبره وتسوسه. فإذا جرت هذه الأشياء على كيانها الطبيعي ظهر الحق والعدل الحسنان الجميلان، وإذا انعكست بالضد والخلاف ظهر الشر والجور القبيحان الرديئان.

يانفس إذا كان الجسد بالنفس يحيا وبها يبصر ويسمع ويشم ويذوق ويلمس. فقد وجب ضرورة الإقرار بأن الجسد آلة النفس، ومن القبيح أن تكون الآلة تدبر الصانع وتستعبده. فإن الصانع هو المدير لا الآلة، لأن الجاهل إذا اتخذ آلة اشتغل بزينتها وتزويقها وترفيها عن استعمالها والاكتساب بها. ثم يحصل على عبادته لها. فحينئذ ينقلب الحق باطلاً ويصير العدل جوراً، والحسن الجميل قبيحاً سمجاً. إذ يصير الحي البَصير السميع العاقل الشريف عبداً للميت الأعمى الجاهل الأصم الخسيس.

يا نفس إن زماناً تدبر فيه الرعية السلطة لزمان معكوس وقد وجبت الهلكة على الجميع. وإذا وجب أن يكون الفرس يدبر الفارس فقد وجب هلاكهما جميعاً. وإذا وجب أن الجسد يدبر النفس فقد هلكا جميعاً.

يا نفس إن السياسة هي حالةٌ لاتصلح للمخلوق البتة. وإنما هي محنة يمتحن بها الناس. فإذا امتحن بها العاقل الرشيد تبين من نفسه الضعف عن القيام بتدبيرها فيخضع ويذل ويرغب إلى سائس الكل، وعلته الفائضة بالخير كله على الطالبين إليه، فيكسب نفسه حينئذ بانضيافها إلى الخير خيراً وبصيرةً ونوراً. فتهتدي إلى حسن السيرة، والقصد إلى وجهً الإصابة والنجاة من الأخطاء بحسن التوفيق. فتكون النفس تشرب من ينبوع الخير والعدل ثم تفيض بما فيها على من تشتمله سياستها، فلذلك يكون ظهور العدل والخير وسعادة السائس والمسوس. وأما الجاهل فإنه إذا امتحن بالسياسة سره ذلك وأبهجه ورأى في قوته وطبعه ما يقوم بها وبأضعافها. فحينئذ يتهاون بتدبيرها وينصرف بكل قوته إلى التلذذ والتنعم المثمرين الشر والجور. ثم تفيض بما فيها على من هو تحت سياستها. فيكون بذلك ظهور الشر والجور وهلكة السائس والمسوس.

يا نفس إذا دخلت عالم الأحلام فلا تغتبطي بـه ولا بمـا تشـاهدين فيـه . وإلا صـرت عنـد اليقظة ضحكة وسخريةَ وعبرة .

يا نفس إن عالم الكون والفساد هو عالم الأحلام فينبغي أن تتمثلي أن النائم الحـالم فيـه هو نائم نوماً ثانياً ، وحالم حلماً ثانياً . فإذا استيقظ فإنما هو نائم انتبه من نومه العرضي ورجع إلى نومه الطبيعي . كرجل أبيض اللون بالطبع عرض له الخجل فاحمر لونـه ثـم رجـع بسـرعة إلى لونه الأول الطبيعي ، وكلا اللونين يؤول إلى زوال . غير أن حمـرة الخجـل عـرض سـريع الزوال ويسمى حالاً . واللون الطبيعي هو عرض ثابت يزول بزوال الطبع . فعلى هذا القياس النائم الحالم في عالم الطبيعة إنما هو نائم ينام وحالم يحلم ، أعني أنـه في الدنيـا نـائم بـالعرَض الثابت . ثم يعرض له النوم بالعرَض غير الثابت فكأنه اكتسب نوماً على نوم . فـإذا انتبـه فإنمـا انتبه من نوم إلى نوم .

يا نفس تيقني هذا واعلمي أنما أنت في هذه الدنيـا راقـدة وأن جميـع مـا أنـت مشـاهدة لـه فيها إنما هو أحـلام . وكمـا أنـه يعـرض لـك النـوم الـذي هـو العـرض السـريع الـزوال فتنـامين وتحلمين ، فإذا زال ذلك العرض انسلخت من جميع الأشياء التي كنت مشـاهدة لهـا انسـلاخاً كلياً ، ورجعت إلى مشاهدة الأشياء الطبيعية التي هي العـرض الثابت ، والتـي أنـت بهـا أشـد تحقيقاً منك بتلك الأشياء التي هي بالعرض السريع الـزوال ، وكذلـك إذا اسـتيقظت مـن نـوكِ الطبيعي الذي هو الدنيا ورجعت إلى اليقظة الحقيقية التي هي عـالم العقـل فإنمـا ترجَعـين إلـى معادن وأشياء أنت بهـا أشـد تحقيقـاً منـك لمـا كنـت مشـاهدة لـه في رقدتـك في عـالم الطبيعـة ، ويكون معناك في هذا كمعناك الذي كان يعرض لك وأنت في الدنيا أعني أحلامك فيها .

الفصل الرابع عشر

يانفس كما أن أحلام الدنيا ليست بشيء حقيقي بالإضافة إلى أسباب الدنيا، وكذلك أسباب الدنيا ليست بشيء حقيقي إلى عالم العقل الذي هو الحق. وإنما شرحت لك يانفس هذه المعاني لكي لاتغتبطي بما تشاهدين في عالم الحس، فتكوني كالذي نام فرأى في منامه أشياء حسنة مبهمة، فأنس بها وركن إليها، فلما استيقظ حزن وجزع على مفارقته تلك الأشياء التي رآها في نومه نعماً ونعيماً. حتى إنه لضعف عقله وقلة علمه يعود إلى النوم تشوقاً منه إلى الأشياء التي رآها في نومه، فإذا كان هذا يانفس قد اتضح لك فاعلمي أن النفس إذا كانت في عالم الكون مشاهدة لنعيمه ولذاته وسروره، فإنها عندما تفارقه تتألم لذلك أشد الألم وتجزع له أشد الجزع، وبالحقيقة إنما تعود إليه لتطلب تلك الأشياء التي كانت تشاهدها شوقاً إليها واغتباطاً بها، ومتى كانت النفس في عالم الكون مشاهدة لبؤسه وأحزانه وضيقه فإنها عندما تفارقه تجد لمفارقته أعظم اللذة وأكمل السرور والراحة، وبالحقيقة أنه لو رأى نائم في منامه كأنه مشاهد أشياء وحشة سمجة مؤذية ثم استيقظ من نومه ذلك وجد عند يظقته أعظم اللذة وأتم السرور والراحة لمفارقته تلك الأشياء التي شاهدها في منامه ويكره أن يعود إلى النوم استيحاشاً وجزعاً من تلك المكاره التي رآها.

يانفس إذا أعطتك الدنيا شيئاً فلا تأخذيه منها. فإنها إنما تطربك لتضحكك قليلاً وتبكيك كثيراً. وهذا الفعل منها إنما هو بالطبع لابالتكلف، ولن يقدر الشيء الطبيعي أن يكون غير ماهو. فأما النفس فإنها حية عاقلة مميزة، ولها الاستطاعة على أن تنخدع وأن لاتنخدع، فإذا رأت أفعال المخادع لها ثم انحرفت عن خداعه وحذرته، فقد نجت من سوء العاقبة، وإذا قبلت المخادعة والمماحلة[1] فإنما ذلك بهواها وشهوتها. وكما أنه يمكنها أن تقبل الخداع، فكذلك يمكنها أن لاتقبل ذلك. فهي مالكة الاستطاعة إن شاءت تحذَّرت من الهلكة، وإن شاءت سلكتها. فانظري يانفس إلى هذه الوصايا وتدبري بها لتفوزي بالنجاة سائرةً إلى دار البقاء ومحل النور والصفاء مع السادة والأخيار والأئمة الأبرار.

---

(1) أي المكر والمكايد.

يانفس خذي من الأشياء ماعرفته وعرفه الجميع . وذري ماأنكرته وأنكره الجميع ، وقد عرفت أنت وعرف الجميع أن النار حارة محرقة مضيئة ، وأن الماء البارد رطب سيال يروي من العطش . وقد عرفت أن كل الشيء أكثر من جزئه ، وأن المستوي غير المعوج . وقد عرفت أن الطوبى هو الخط الشريف السني . وأن الويل هو الخط الخسيس الدني . وقد علمت أن المرغوب فيه حبيب الراغب ، وأن المزهود فيه بغيض الزاهد . وإذا كان فراق الحبيب شراً ومصيبةً ، ففراق البغيض خير ونعمة ، وإن كانت الدنيا مفارقة بالحقيقة وبغير شك فقد وجب الويل لمحبيها والطوبى لمن يبغضها .

يانفس انفصلي عن الطبيعة بوهمك ، ثم انظري هل تجدين شيئاً غير ذاتك . فإذا نعَتِّ ذاتك فقولي هي الجوهر النوري المصور المتصور المحرك المتحرك الحي العاقل المميز الهاجس[1] بمعاني مراداته وإرادته ذو الأخلاق الشريفة التي هي العدل والحكمة والجود والرحمة . فإذا نعتِّ ذاتك بهذه المعاني . وكانت لك ذات طبعية فقد لزمك الإقرار بأنك الشيء الحي اللطيف المدبر ، وإن سموت إلى نعت غيرك . فهل تجدين له نعتاً ذاتياً أو صفة دون أن تستعيري له النعوت والصفات فتنعتينه بالمعَاني التَي هي لغيره . أفليس قد لزمك الإقرار بأن شيئاً لانعت ذاتي له ولاصفة فهو شيء ميت موضوع للاستعمال بطبعه ، أوَ ماينبغي أن تفهمي أن النفس إنما تفعل في الطبيعة ماي فعله العقل فيها ، وإنما العقل يفعل في النفس معالي ماتفعله العلة الأولى فيه . فمتى تمثلت يانفس هذا المعنى الموجود في الحس وجدته أنه الترتيب السلطاني السامي بعينيه .

يانفس تأملي هذا المثل فإما أن تضحكي منه تعجيباً أن تعتبري وتوجسي منه مخافة ، وهو أن طائرين من نوع واحد ربطا معاً في رباط واحد وتركا فيه فعظم عذابهما جميعاً وبعدت الراحة عنهما فكان فرح كل واحد منهما وراحته انفصاله عن الآخر ، فإذا كان طائران من نوع واحد وشكل واحد ، ربطا جميعاً فأعقبهما الربط شدةً وأذاقهما أنواع العذاب فكيف إذا ربطت أشياء مختلفة في الشكل والمعنى ، كحمل ربط بذئب ، أو ثور ربط بسبع ، أو حي ربط بميت أم هل يكون أشقى من عالم ربط بجاهل . يانفس إن كانت راحة الحمل أن ينحل من ربطه بالذئب ، وراحة الثور أن ينحل من ربطه بالسبع ، فإنَّ راحة الحي أن ينحل من ربطه بالميت ، وراحة العالم أن ينحل من ربطه بالجاهل . فإن كنت يانفس تقرين بحقيقة هذه المعاني فقد انجلت الغشاوة عن بصرك . وإن كنت منكرة لذلك فاستعملي الأدوية المزيلة

(1) أي المحدث نفسه .

العمى عن الأبصار، والأخلاق المخرجة القلوب من الظلمات إلى النور.

يانفس تأملي جوهرك واعتبريه واعلمي أن جوهر النفس جوهر عالي الشأن رفيع الشرف لمناسبتها كل العوالم وحلولها بكل محل. وإنها تنسب في بعض الأحيان إلى عالم الطبيعة فتكون إنسانية مشاهدة المحسوسات مشافهة المآكل والمشارب وجميع معاني الطبيعة، وتارة تنسب إلى عالمها الخاص بها فتكون نفساً حيةً حساسة مستعملة الحركة، ذات بحث وتأمل واختيار وإرادة فهذه المعاني هي معاني النفس وهي الحياة المنبثة في جميع مااحتوى عليه ملكوت النفس، وتارة تنسب إلى عالم العقل فتكون منتزعة الصور عن الهيولى، مدركة للبسائط الأولى مصورة مميزة عاقلة لجميع المعاني الفردة البسيطة، وتارة تنسب إلى عالم اللاهوت، فتكون بالغة الخير والجود مرة بهما خلْواً[1] من الشر والجور ناهية عنهما، حكيمة الأفعال متقنة الأعمال. ومن أوضح الدلائل على أن النفس تناسب العلة الأولى ماهو موجود في خلقها من أنها تسمو إلى الإحاطة بجميع الأشياء التي يحتوي عليها الملكوت الأعظم، فإنها لن تلفى مستقرةً راضيةً كل الرضى دون أن تبلغ العالم العقلي بجميع مافيه. فحينئذ تلفى النفس غير طالبة شيئاً مستقرة راضية كل الرضى. ومن استعمل الإقرار في ذاته توجهتْ إليه حقيقة ذلك.

يانفس مايكون اشقى منك حالةً ولاأعظم حسرة. وقد أصبحت في محل الأعاجم. وحيدة فريدة تبثين لهم الشكوى بلفظك فلا يفهمونه ويبثون لك بلفظهم فلا تفهمينه. ومتى قارن الشيء خلافه فهو مهجور موهوق مرهق[2] مشغول عن ذاته بذات غيره.

يانفس ماأعظم حسراتك إذ تنطقين فلا تجدين سامعاً، وتبثين الشكوى فلا تجدين راحماً[3]، فياليت شعري ماذا عزاء من أصبح غريباً عن وطنه، نائياً عن معدته، بعيداً عن أصله ونبعته، وقد أوثقه وأوبقه[4] هواه فشارف استثمار زلَله وخطئه، محمولاً على مركب

---

(1) الخلو الخالي والخالية للمذكر والمؤنث والجمع أخلاء.

(2) الموهوق ماجعل في عنقه الوهق وهو حبل في طرفيه أنشوطة يطرح في عنق الدابة والإنسان حتى يؤخذ به. والمرهق اسم مفعول من حمل على مالا طاقة فيه، لاقبل.

(3) الرحمة هي حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان. الرحمة هي أن يوصل إليك الإسار. والرأفة أن يدفع عنك المضار. فالرأفة مبالغةفي رحمة مخصوصة وهي رفع المكروه وإزالة الضار.

(4) أوبقه حبسه وأهلكه ويقولون فلان يركب الموبقات أي المهلكات.

الغدر والغرور والشهوة، مقترفاً بمذلة اللهو والتلذذ، ساهياً في طريقه، موقوفاً على عطبه، فليعلم الراكب في لجة البحر في المراكب المزخرفة الركيكة الرديئة عند عطبها وانحلالها أنه إنما صاحب من خذله، واستسلم لمن غرَّه وخدعه. فيالها حسرةً ماأعظمها، حسرة المغرور بحبيب خائن وقرين خاذل.

يانفس من غرس طيِّباً أكل طيِّباً ومن غرس خبيثاً أكل خبيثاً. وإن ثمرة العمل الصالح كأصلها، وثمرة العمل الردي كأصلها. وقليل من العلم مع العمل به أنفع من كثير من العلم مع قلة العمل به. رحم الله من علم وعلَّم. وعمل وقوَّم، ورشد وأرشد وفهم وأفهم ووصل وأوصل، وكان وسيطاً بالحق ناطقاً بالصدق مقترناً بالتوفيق.

من كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم لأبي الوفاء المبشر بن فاتك»

ـ تحقيق الأستاذ عبد الرحمن البدوي ـ

نجد أن المؤلف يميز بين أرميس وهرمس وينقل عنهما مايلي :

حكم أرميس وآدابه

وهو إدريس النبي صلوات الله عليه وسلامه ، وشيء من أخباره :

ولد هرميس الهرامسة بمصر في مدينة منف منها ، وهو باليونانية «أرميس» فقيل : «هرميس» . ومعنى «أرميس» : عطارد . ويسمى أيضاً عليه السلام عند اليونانيين طرميس ، وعند العرب إدريس ، وعند العبرانيين خنوخ ، وهو ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليهم السلام .

وكان قبل الطوفان الكبير الذي أغرق الدنيا ، وهو الطوفان الأول ، وكان بعده طوفان آخر أغرق أهل مصر فقط ، وكان في بداية أمره تلميذاً لغوثاديمون المصري . وكان غوثاديمون[1] أحد أنبياء اليونانيين والمصريين . وهو أوراني الثاني عندهم ، وإدريس أوراني الثالث عليه السلام . وتفسير اسم غوثاديمون : السعيد الجد .

وخرج هرميس عن مصر ، ودار الأرض كلها ، وعاد إلى مصر ورفعه الله إليه بها . قال الله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[2] وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة . ودعا الخلائق من أهل سائر الأرض إلى الباري عز وجل باثنين وسبعين لساناً . وآتاه الله الحكمة فكلمهم بلغاتهم المختلفة وعلمهم وأدبهم وبنى لهم مائة وثماني مدن عظام أصغرها الرها[3] ، وكان أول من استخرج علم النجوم ، وأقام لكل إقليم سُنَّةً تليقُ بهم وتقارب آراءهم . وخدمته الملوك

---

(1) غوثاديمون تعبير يوناني وهو يشتقها هنا من غوث (= سعيد ، خير ، جيد) ـ ديمون (= بحث ، قدر ، جد ، إله ، قوة إلهية) .

(2) سورة مريم آية/58 .

(3) الرها : مدينة قديمة في شمالي العراق ، تدعى اليوم «أورفا» وتزعم بعض الروايات أن الذي أنشأها هو نمرود . وفي عهد الساسانيين كان اسمها collirhoé نسبة إلى ينبوع قدس باسم Ateagatis ومن هذا الاسم اشتق الاسم السرياني Ourhai والعربي : الرها ، وفي عهد أنطيوخوس السابع أطلق عليها اسم الصيوخيا . وفي العصر الروماني كانت عاصمة إقليم Osrhoène وكان عليها ولاة باسم أبجر .

وأطاعه أهل الأرض كلها وأهل الجزائر التي في البحار، وخدمه أربعة ملوك، وكل واحد منهم ولي بأمره ـ عليه السلام ـ الأرض كلها: فأولهم إيلاوس وتفسيره الرحيم، والثاني ابنه آوس[1]، والثالث إسقلفيوس[2]، والرابع آمون وهو أبسينوخش.

ودعا إلى دين الله والقول بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب. وحرض على الزهد في الدنيا والعمل بالعدل وطلب الخلاص في الآخرة، وأمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها لهم وصيام في أيام معروفات من كل شهر، والإقدام على الجهاد لأعداء الدين والزكاة عن الأموال، ومعونة الضعفاء بها. وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة والحيض ومس الموتى، وأمرهم بتحريم أكل الخنازير والحمار والجمل والكلب وغيرها من المآكل. وحرم السكر من كل شيء من المشروبات، وشدد فيه أعظم تشدد، وجعل لهم أعياداً كثيرة في أوقات معروفة، وصلوات فيها وقربانات: منها لدخول الشمس رؤس البروج. ومنها لرؤية الهلال وأوقات القرانات. وكلما صارت الكواكب إلى بيوتها وأشرافها[3] أو ناظرت كواكب أخراً[4]، قربوا قرباناً. والقرابين فيما جاء به ثلاثة أشياء: البخور، والذبائح، والخمر[5]، ويقربون من باكورة الأشياء من الرياحين الورد ومن الحبوب الحنطة والشعير، ومن الفاكهة العنب، ومن الأشربة الخمر[6]. ووعدهم أنه سيأتي بعده عدة أنبياء، وعرفهم أن من صفات النبي المبعوث أن يكون بريئاً من المذمات والآفات كلها، كاملاً في الفضائل الممدوحات كلها، لايقصر عن مسألة يسأل عنها مما في السموات والأرضين، وأن يدل على مافيه الشفاء من كل ألم، وأن يكون مستجاب الدعوة في كل ماطلبه من إنزال الغيث ورفع الآفات وغير ذلك من المطالب، وأن يكون مذهبه ودعوته المذهب الذي يصلح به العالم وتكثر عمارته، ورتب الناس ثلاث طبقات: كهنة وملوكاً ورعية. ومرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك، لأن الكاهن يسأل الله في نفسه وملكه ورعيته، وليس للملك أن يسأل الله تعالى في شيء إلا في نفسه ورعيته، وليس للرعية أن تسأل الله شيئاً إلا لأنفسها فقط.

---

(1) ألوس.
(2) أسفلفيوس.
(3) بالفاء في النص.
(4) في النسخ: أخر.
(5) هنا في نسخة كشط، على الكلمة لم يظهر منه شيء، ويلوح أن أحد مالكي هذه النسخة استفظعه فكشطه.
(6) في نسخة كشط، على هذه الكلمة أيضاً.

وكان ـ عليه السلام ـ رجلاً آدم[1] اللون، تام القامة، أجلح حسن الوجه، كث اللحية، مليح التخاطيط، تام الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، براق العينين أكحل، متأنياً في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الفكرة، به جد وعبسة يحرك ـ إذا تكلم ـ سبابته. وكانت على الأرض اثنين[2] وثمانين سنة، وكان على فص خاتمه الذي يلبسه في كل يوم: «الصبر مع الإيمان بالله يورث الظفر». وعلى فص الخاتم الذي يلبسه في الأعياد: «تمام الفرح بالأعياد الأعمال الصالحة». وعلى فص خاتمه الذي يلبسه إذا صلى على ميت[3]: «الأجل حصاد الأمل، والموت رقيب غير غافل». وعلى المنطقة التي يلبسها دائماً: «النظر في العاقبة يورث سلامة النفس والبدن من الأعراض المؤذية». وعلى المنطقة التي يلبسها في الأعياد: «حفظ الفروض والشريعة تمام الدين وتمام الدين كمال المروءة». وعلى المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت: «من نظر لنفسه فاز، وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة».

وانتهت شريعته ـ وهي الملة الحنيفية، وتعرف أيضاً بدين «القيمة» ـ إلى مشارق الأرض ومغاربها، وشمالها وجنوبها، وطبق الأرض بأسرها حتى لم يبق على وجه الأرض آدمي إلا وهو يدين بها. وكانت قبلته إلى حقيقة[4] الجنوب على خط نصف النهار.

---

(1) الآدم: الأسمر

(2) في نسخة اثنتين.

(3) ورد الشطر الأول من هذا النقش في رسالة «نقش خواتيم الحكماء وآدابهم واجتماعاتهم» (مخطوطة في ميونيخ رقم 651 عربي ورقة 13).

(4) في نسخة: الحقيقة.

مختار مواعظ هرمس وآدابه

وهو - عليه السلام - إدريس النبي المثلث بالنبوة والحكمة والملك.

قال: لن يستطيع أحدكم أن يشكر الله عز وجل على نعمه بمثل الإنعام بها على خلقه.

وقال: من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسيّئ العمل، كما أن الصانع الذي يعرف الصنائع كلها إذا أراد الخياطة أخذ آلتها وترك آلة الخياطة: فحب الدنيا وحب الآخرة لايجتمعان في قلبٍ أبداً.

وقال: أيها الإنسان إذا اتقيت ربك وحذرت الطرق المؤدية إلى الشر لم تقع فيه.

وقال: لاتمل مع الهوى وحلاوة الدنيا الصادة لك عن الشغل بمعادك فتكون كالغريق المشتغل عن التدبير لخلاص نفسه بحمل بضاعةٍ ثقيلة قد اغتر بحسنها وهي سبب عطبه.

وقال: خير الدنيا حسرة، وشرها ندم.

وقال: لم يكن البشر ليهتدوا إلى معرفة عظمة الله ـ عزَّ وجلّ ـ لولا أن عرفهم نفسه وهداهم إلى عبادته بالوساطة من أنبيائه وحملة وحية المختارين المصطفين، الناطقين عن روح القدس، المرشدين إلى تقوى الله وسبيل طاعته، الموقفين لنا على حدود أوامر وزواجر نواميسه وسننه والسلوك في مذاهب رضاه المؤدية إلى الحياة الدائمة والنعيم المتصل.

وقال: لا ترفعوا دعاءكم إلى الله بالجهالة ولا بالنيات المدخولة[1]، ولاتعصوه ولاتتعدوا حدوده ونواميسه. ولايجرين أحد منكم في معاملة أخيه إلى مايكره أن يأمل بمثله. واتفقوا وتحابوا وثابروا على الصوم والصلاة جماعةً ببصائر صافية نقية ونيات غير متقسمة ولا مشوبة، وتوادوا على طاعة الله عز وجل والتقوى له، واسعوا للخير واجتهدوا فيه. ولتكن تأديتكم فرائض الله عليكم بالتمام والكمال والخشوع والخضوع من غير عجب ولا استكبار. وإياكم والتفاخر والتكاثر، وعليكم بالإخبات والتواضع، لكيما تستثمروا ثمار الخير من أعمالكم.

---

(1) المدخول: من طرأ على عقله دخل، المهزول، المعيب، والدخل ماداخل الإنسان من فساد في العقل أو الجسم.

وقال: ابتعدوا عن مخالطة الخونة والفسقة ومبتغي الضلال ومقابح الأعمال.

وقال: لاتحلفوا كاذبين، ولاتهجموا على الله باليمين، واعتمدوا الصدق حتى يكون «نعم» من قولكم «نعم»، و «لا» «لا». وتورعوا عن تحليف الكذابين بالله جل ذكره: وإياكم أن تشاركوهم في الإثم إذا علمتم منهم الحنث. وليكن الآثر في نفوسكم أن تكلوهم إلى الله عالم السرائر فحسبكم به من حاكم يعدل، وناطق يفصل، يوم يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وقال: اعلموا واستيقنوا أن تقوى الله سبحانه هي الحكمة الكبرى والنعمة العظمى والسبب الداعي إلى الخير والفاتح لأبواب الفهم والعقل، لأن الله سبحانه وتعالى لما أحب عباده وهب لهم العقل، واختص أنبياءه ورسله بروح القدس، فكشفوا لهم عن سرائر الديانة وحقائق الحكمة، لينتهوا عن الضلال ويتبعوا الرشاد.

وقال: استشعروا الحكمة واتبعوا الديانة وعَوِّدوا أنفسكم الوقار والسكينة، وتحلَّوا بالآداب الحسنة الجميلة. رووا في أموركم ولاتعجلوا، ولاسيما في مجازاة المسيء، واجعلوا الحياء ملء وجوهكم، والخيفة من الله حَشْوَ جنوبكم، وتدبروا بالصحة والاستقامة، واحذروا عواقب الندامة، فبسلوك هذه السبل تصير النفس حرة معتوقة من رق الجهالة وعبودية الحداثة.

وقال: وإن يكن من أحدكم فرطة[1] وارتكب منكراً فليقلع عنها، ولاتحمله السلامة عنها على المعاودة إليها، بل التوبة والإقلاع عنها، فإنها وإن سترت عليه في الدنيا فإنه يفتضح بها يوم الدين ويجازى عنها بعقوبة لارحمة معها.

وقال: تأدبوا بآداب الله التي دعاكم إليها وأمركم بحفظها، واتبعوا الحكماء والعلماء، وخذوا عنهم الفضائل، ولتكن شهواتكم مصروفة إلى طلب الحمد واستحقاق المدح، ولاتصرفوها إلى الشرور ومقابح الأمور.

وقال: وتحرزوا واهربوا من المآكل الخبيثة، واحتشموا المكاسب الدنية، فإنها وإن ملأت أكياسكم من المال فإنها تفرغ قلوبكم من الإيمان، وعودوا نفوسكم إكرام الأخيار من أجل خيرهم، وأما الأشرار فلاستكفاف شرهم.

---

(1) فرط منه قول: قاله من غير روية. فرط على فلان: عجل وعاداه وآذاه. والفرطة بادرة الإثم.

وقال: تحفظوا من مخالطة القوم الذين لايهتدون إلى الحق ولايكملون معرفته[1] ولايتعلقون منه بعصمة، غير أنهم يسمعونه سماعاً ولايعقلونه فعالاً. لاتنصبوا لمكاره الناس الحبائل، ولاتبغوا لهم الغوائل، ولاتسعوا لهم في المضرة، فإن ذلك لايخفى، ومتى خفي في الأول لم يخف في المستأنف. وارفعوا أنفسكم عن أن تفعلوا هذا الفعال وتقوموا هذا المقام.

وقال: اجمعوا بين محبة الديانة والحكمة، وقفوا أنفسكم على تعليمها، وإن قدرتم على أن يكون زمان مقامكم في هذه الدنيا مصروفاً بأسره إلى ذلك دون غيره فافعلوا. ومتى كنتم بهذه الصفة سهل عليكم مايصعب على غيركم، وكان مايحصل لكم من شرف الفضيلة أنفع من ذخائر الذهب والفضة وسائر أصناف القنية، إذ كانت عروض الدنيا تفنى ولاتبقى، وثواب الله يبقى ولايفنى.

وقال: ساووا بين باطنكم وظاهركم في المخاطبات بينكم، ولاتكن ألسنتكم مخالفة لضمائركم.

وقال: أطيعوا الله وأطيعوا رؤساءكم واخضعوا لسلطانكم وأكرموا كبراءكم، وبروا مؤدبيكم. ولتغلب عليكم محبة الله والحق. ولاتخالفوا الرأي الصواب ومشاورة النصحاء لتأمنوا الندامة وتسلموا من الملامة.

وقال: ولتكن أفواهكم مملوءة بحمد الله وشكره عند الشدة والرخاء، والفقر والغَناء.

وقال[2]: لاتتفاضلوا إلا بأعمالكم، ولاتجوروا في الحكم، ولاتستعملوا النفاق، ولاتزكوا الخونة، ولاتخونوا الأزكياء. وليكن الفقر مع الاستقامة أحب إليكم من الثروة مع الإثم، فإن المال يفنى وأعمال البر والخير تبقى.

وقال: لاتحبوا كثرة الضحك والهزل، ولاتطنزوا[3] بالناس. وإن ظهرتم من أحد على عاهة أو عورة أو حالة مذمومة فلا تعيبوه ولا تضحكوا منه، بل اعتبروا وارجعوا إلى الله، فإن البشرية تجمعكم وأنتم وهو من طينة واحدة خلقتم، وليس الضاحك منه بآمن من أن يناله في المستأنف. والواجب عليكم إذا رأيتم ذوي البلوى أن ترفعوا نواظركم إلى الله سبحانه

---

(1) ح: لمعرفته.
(2): ولا.
(3) أي تسخروا منهم.

وتحمدوه على العافية وتسألوه الإعاذة.

وقال: إذا جادلكم المخالفون لكم في الدين بالفظاظة وسوء القول فلا تقابلوهم بمثل ذلك، بل بالرفق والدلالة والهداية ولطف المخاطبة، واعتصموا بالله وقولوا بأجمعكم: اللهم أصلح بريتك وأجْرِ عليهم من قضائك وقدرك مايقودهم إلى الألفة والسلم والإيمان والهدى.

وقال: أكثروا من الصمت في المحافل، ولاتطلقوا ألسنتكم بحضرة المتحفظين عليكم بما عسى أن يجعلوه سلاحاً يضربونكم به. وأقلوا المراء والهذر والفضل من القول.

وقال: حياة النفس في الحكمة، والحكمة في الإيمان بالله عزّ[1] وجلّ في حفظ الدين. أوَ لاتعلمون أن الحكمة والإيمان بالله لايفترقان: إن وجد أحدهما وجد الآخر، وإن عدم عدم؟

وقال: لايمكن أن يكون الإنسان عادلاً وهو غير خائف من الله عز وجل. وإنما يكون العُدُول عدولاً إذا استكثروا من خشية الله، وبذلك يكتسب روح القدس في يوم القيامة ويفتح له أبواب الفردوس وعالم النور، حتى تسبح أنفسهم مع النفوس المطهرة العاملة مع الله سبحانه وتعالى المستحقة للحياة الأبدية.

وقال: احذروا مصاحبة الأشرار والحساد والمشتملين على العداوة والأحقاد والشكاوى والجهال. وإذا هممتم بالخير فقدموا فعله لئلا يعارضكم سواه فتتوقفوا عنه.

وقال: لاتغبطوا الفاسق على أن يواتيه الحظ، فإن استمتاعه قليل وعاقبته الوبال، والله لايصلح أعماله.

وقال: روضوا أولادكم بالتعليم من الصغر وقبل أن يكبروا لئلا يتمردوا عليكم ويميلوا إلى الشرور ويلحقكم الإثم فيهم.

وقال: وليكن همكم مصروفاً إلى الله رب السماء والأرض ـ سبحانه! ـ وارفعوا إليه صلواتكم بصفاء من ضمائركم وعلى غير شوب من خواطركم. واجهدوا أن تناجوه بقلوب سليمة واعتقادات مستقيمة يسمع منكم ويستجب لكم ويبلغكم آمالكم، ويفتح أبواب الرشد في مساعيكم ومتوجهاتكم، ويعصمكم من أفكار السوء، ويحفظ أنفسكم من المكاره،

---

(1) عز وجل: ناقصة في ج.

وينجكم من فخاخ الآثام ويرد عنكم المخاوف[1] ويَكبّ رؤوس أعدائكم تحت أقدامكم.

وقال: وإذا دخلتم في الصيام فطهروا نفوسكم من كل دنس ونجس، وصوموا لله بقلوب خالصة صافية متنزهة عن الأفكار السيئة والهواجس المنكرة، فإنّ الله يستنجس القلوب الملطخةً والنيات المدخولة. ومع صيام أفواهكم من المآكل فلتصم جوارحكم من المآثم، فإن الله لايرضى منكم بأن تصوموا عن المطاعم فقط، ولكن عن[2] المناكير كلها والفواحش بأسرها. ليت شعري! مايغني عنكم الصوم إذا كانت أفعالكم مذمومة وبصائركم مشوبة؟! وواظبوا في صيامكم على بيوت الله، واعمروها بالصلاة والدعاء، ولاتستكثروا بالعبادة ولاتروموا بها السمعة والشهرة، بل استعملوها بالتذلل لله عز[3] وجل والاستكانة له[4]. وإذا أديتم فرائضكم وعيدتم أعيادكم وانقلبتم إلى منازلكم مسرورين بحرمكم وأولادكم فاذكروا أهل الضر والمسكنة، ومدوا أيديكم إليهم بالبر والمواساة.

وقال: نفسوا عن المكروبين، فرّجوا عن المحزونين، افتدوا الأسارى، عالجوا المرضى أكسوا العراة، أضيفوا الغرباء، أطعموا الجياع، أرووا العطاش، عزوا المصاب، خلصوا المظلومين ممن يظلمهم.

وقال: لاتزيدوا المحزونين حزناً، ولاتصيروا مع خطوب زمانهم عوناً عليهم، بل سَلُّوهم وعَزُّوهم وعاونوهم وعاضدوهم وواسوهم بالقول الحسن والفعل الجميل. وإن كانوا ممن أسلفوكم الإساءة فاغتفروا لهم وانتصروا بهم على مانالهم من العقوبة.

وقال: اكتسبوا الأصدقاء، وقدموا الاختبار لهم قبل الاستنامة إليهم، ولاتعجلوا بالثقة بهم قبل المحنة لئلا يلحقكم الندم وتنالكم[5] منهم المضرة.

وقال: من أعطاه الله فضلاً في دنياه فلا يفخرن به على أخيه، ولا يتدخله الكبر والتعاظم، وليكن ذلك الفضل محتقراً في عينه. فإن الله عز وجل خلق الفقراء والأغنياء خلقاً واحداً وهم عنده سواء.

---

(1) كب الاناء: قلبه على رأسه. كب الرجل على وجهه ولوجهه: صرعه.
(2) من.
(3) عز وجل: ناقصة في نسخة.
(4) له: ناقصة في بعض النسخ.
(5) في نسخة: منه.

وقال: لاتبدر[1] منكم عند الغضب كلمة الفحش فإنها تزيدكم العار والمنقصة، وتلحق بكم العيب والهجنة، وتجر عليكم المأثم والعقوبة.

وقال: من كظم غيظه وقيد لفظه منطقه وطهر نفسه ـ فقد غلب الشر كله.

وقال: لاينبغي لطالب الحكمة أن يكون طلبه إياها ورغبته فيها لثواب عليها أو ثمن لها، ولكنه ينبغي أن يكون ذلك منه رغبةً لنفسه فيها لفضلها على كل شيء سواها.

وقال: إذا كانت الحكمة خالصة فهي معدن كل سعادة، ومظهر كل أدب وماحقة كل سوء.

وقال: خير الملوك شرفاً من بدل سنة السوء في مملكته إلى السنة الصالحة، وشرهم من بدل السنة الصالحة الحسنة إلى السنة السوء.

وقال: الدليل عل غريزة الجود السماحةُ عند العُسْرة[2]، وعلى غريزة الورع الصدقُ عند السخط، وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب.

وقال: مَنْ سَرّهُ مودة الناس إياه ومعونتهم له وحسن القول منهم فيه حقيق بأن يكون على مثل ذلك لهم.

وقال: مَنْ أحب أن يجاد عليه عند فاقته فليجد مما وسع له فيه على أهل الحاجة إليه.

وقال: من فضل العلماء قصد العدل واستفاد العمل الصالح واجتهد في طلب الحكمة وتزين بالأدب، أصاب مايرغب فيه من خير الدنيا والآخرة.

وقال: أعظم الناس مصيبةً في الدنيا والآخرة من لم يكن له عقل ولا حكمة، ولا له في الأدب رغبة.

وقال: من منع ماعنده من العلم والأدب للصالحين قوى بذلك أجهل الأشرار: ومن منع العلم لمستحقه منعه الله منفعته في الدنيا والآخرة.

وقال: لايبخل بالعلم على مستحقيه إلا جاهلٌ قليل العلم، وإن لم يكن قليل العلم فهو دنيء الهمة حَسَّاد.

---

(1) ج: تندر.

(2) العسرة والعسرى والمعسرة: الضيق والشدة.

وقال: من جاد بالعلم والحكمة فهو أيضاً ممن جاد بالمال وأبقى لذكره لأن المال يفنى والعلم يبقى.

وقال: السلامة ألا يعادي المرء أحداً ولاتكون منه إساءةٌ إلى من عاداه وأضرَّ به، بل يحسن إليه ويلين له القول. فإن من أفضل أعمال العلماء ثلاثة أشياء: أن يبدلوا العدو صديقاً. والجاهل عالماً، والفاجر بَرّاً.

وقال: الصالح من خيره خيرٌ لكل واحد ومن يعدُّ خير كل أحد لنفسه خيراً.

وقال: ماأقل منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة، وماأكثر قلة المعرفة مع ملك النفس!

وقال: لاتستقل شيئاً من زيادة الله عزّ وجلّ لك فتستنفر بقيتها منك.

وقال: الموت كسهم مرسل وعمرك بقدر مسيره نحوك.

وقال: من أوكد أسباب العلم رحمة الجهال.

وقال: ربما شَرِقَ شاربُ الماء قبل ريه، ومن تجاوز الكفاف لم يغنه الإكثار.

وقال: الساعي كاذبٌ إلى من سعى إليه أو خائنٌ لمن سعى فيه.

وقال: المزاح يفني الهيبة كما تفني النار الحطب.

وقال: الحاسد يكثر وده في اللقاء وبغضه في المغيب، واسمه صديقٌ ومعناه عدوٌ.

وقال: اللحظ طرف الضمير.

وقال: الفرصة سريعة الموت بطيئة العودة.

وقال: لاأشجع من بريء، ولاأجبن من مريب!

وقال: من جرى في عنان أمله عثر بأجله.

وقال: كأن الحاسد إنما خلق ليغتاظ.

وقال: اقتصّ من شهوة خالفتْ عقلك بالخلاف عليها.

وقال: إن الغضب إذا كان له سببٌ يعرف كان الرضا سهلاً، وإذا كان بلا سبب كان الرضا صعباً مستعصياً، وذلك لأن المحال غير موجود على كل حال.

وقال: المستشير على طرف النجاح.

وسئل: ماالذي يهد الرجل؟ فقال: الغضب والحسد، وأبلغ منهما الهم.

وسئل: مابال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟ فقال: لمعرفة العلماء بفضل الغنى، ولجهل الأغنياء بفضل العلم، وإن العلم ممدوح بكل لسان، مُتزيَّن به في كل مكان.

وقال: العقل بغير أدب كالشجرة العاقر، والعقل مع الأدب كالشجرة المثمرة.

وقال: العلم بالخير والشر هو تمام العلم، وبتمام العلم يكون تمام الحكمة، وتمام الحكمة سلامة العاقبة.

وقال: ماينبغي للعالم أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه ممتنعة عليه.

وقال: من عرف الجهل كان عاقلاً، ومن جهله كان جاهلاً. ومن جهل صورة الحكمة جهل صورة ذاته، ومن جهل ذاته كان بغير ذاته أجهل.

وقال: الناس اثنان: طالب لايجد، وواجد لايكتفي.

وقال: الحكمة إنما هي كالجواهر في الصدف في قعور البحار فلا تنال إلا بالغواصين الحُذَّاق.

وقال: لاتمدح بكمال العقل من لم يكمل عقله[1]، ولا بكمال العلم من لم يكمل علمه.

وقال: الأدب صورة العقل، فحسِّن عقلك ماقدرت.

وقال: العقل لاتدعه عيوبه يفرح بما ظهر من محاسنه.

وقال: النصح بين الملأ تقريع.

وقال: إعادة الاعتذار تذكير للذنب.

وقال: ماعفا عن الذنب من قرع به.

وقال: الجاهل صغير وإن كان شيخاً، والعالم كبير وإن كان حدثاً.

وقال: الدنيا تهين من كانت تكرمه، والأرض تأكل من كانت تطعمه.

---

(1) في نسخة في الصلب: عفته ـ والتصحيح في الهامش ـ وفي نسخة: عفته.

وقال: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

وقال: الميت يقل الحاسد له، ويكثر الكذاب عليه.

وقال: يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك.

وسئل عن شيخ له زوجة، فقال: من لايقدر على أن يسبح في البحر كيف يقدر على أن يحمل على عنقه آخر؟!

وقال: اجتنب مصاحبة الكذاب، فإنه مثل السراب يلمع ولاينفع.

وقال: من تجرأ لك تجرأ عليك[1].

وقال: من كثر حقده قل عتابه.

وقال: الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهم بالحادثة عن الحيلة لدفعها.

وقال: من مدحك بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك.

وقال: الغضب يصدئ العقل حتى لايرى صاحبه حسناً فيفعله، أو قبيحاً فيجتنبه[2].

وقال: من تكلف مالايعنيه فاته مايعنيه.

وقال: عار الفضيحة يكدر لذتها.

وقال: لاتقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه، ولاتتبعه بعد القطيعة وقيعة فتسد طريقه عن الرجوع إليك، ولعل التجارب أن ترده عليك وتصلحه لك.

وقال: خير الأصحاب من نسي ذنبك فلم يقرعك به، ومعروفه عندك فلم يمنن به عليك.

وقال: أعط الحق من نفسك، فإن لم تعطه منها كان الحكم خصمك.

وقال: نعمة الجاهل كروضة على مزبلة.

وقال: إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضاً.

وقال: رب كلام جوابه السكوت، ورب عملٍ الكف عنه أفضل، ورب خصومة

---

(1) أي: ماتجرأ على الناس من أجلك وبتحريضك تجرأ عليك أنت.
(2) في نسخة: فيتجنبه.

الإعراض عنها أصوب.

وقال: أفضل ماخلق الله تعالى في هذا العالم الناس، وأفضل مافي الناس العقل، وأفضل أمور العقل[1] تدبر صاحبه بالعدل وكف نفسه عن الذنوب.

وقال: الأحمق لايحس بشيء من القبيح، والجاهل الذي إذا أحس بشيء ظنه غيره، والجبان الذي يخاف مالايحس به.

وقال: أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض لسان ناطق بالحق والعدل.

وقال: الخير والشر واصلان إلى الناس لامحالة، فطوبى والويل لمن جرى وصولهما إلى الناس على يديه.

وقال: ينبغي للملوك وذوي السلطان أن لايملكوا ويسلطوا إلا من له رحمة ومودة لكل أحد مثل مايكون عند الأب الرحيم المحب للولد الكريم عليه.

وقال: غاية النفس المنطقية المعرفة الحقيقية، وغاية فعل القوة الشهوانية المحبة، وغاية فعل القوة الغضبية السلامة.

وقال: كفى مذنب بالظفر شفيعاً للمذنب إلى الحكيم.

وسئل عن الجود فقال: هو أن تجود بمالك، وتصون نفسك عن مال غيرك.

وقال: هب ماأنكرت لما عرفت، واغفر ماأغضبك لما أرضاك.

وقال: أمر الدنيا أقصر من أن تطاع فيها الأحقاد.

وقال: قابل غضبك بحلمك، وجهلك بعلمك، ونسيانك بذكرك.

وقال[2]: الحياء في الصبا أجمل من الخوف، لأن الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الرهبة.

وقال: تزود من الخير وأنت مقبل ـ خيرٌ من أن تتزود منه وأنت مدبر.

وقال لتلميذه فواطيلس: أفهمت ماقلت لك؟ قال نعم. قال: لاأرى عليك أثر الفهم.

---

(1) في نسخة: تدبير.

(2) سيرد هذا القول من بعد منسوباً إلى سولون.

قال كيف ذلك؟ قال: لاأراك مسروراً، والدليل على الفهم السرور.

وقال: من لم يسكن موضعاً فيه سلطان قاهر وقاضٍ عادل وطبيب عالم وسوق قائم ونهر جار فقد ضيع نفسه وأهله وماله وولده.

ووصى بسيلوخيس[1] وهو آمون الملك فقال: أول ماآمرك به تقوى الله عز وجل وإيثار طاعته، ومن تولى أمر الناس فقد وجب عليه أن يكون ذاكراً ثلاثة أشياء: أولها: أن يده مطلقة على قوم كثير، والثاني: أن الذين يدُه مطلقة عليهم أحرار لاعبيد، والثالث: أن سلطانه إنما يثبت مدة يسيرة. فسبيلك أن تطهر نفسك بحسن النية والقول بالحق. وإياك أن تمهل الحرب والجهاد لمن لايؤمن بالله جل اسمه ويتبع سنتي وشريعتي لما يرغب[2] إليه من دخولهم في طاعة الله عز وجل. واحذر أن ترغب في أخذ أموالهم وتركهم على طغيانهم، فإن المال لارغبة فيه إلا من حله[3] ومالله ـ جل اسمه ـ فيه رضاً. واعلم أن الرعية تسكن إلى من أحسن إليها، ولاتحسن المملكة إلا بالرعية، فمتى لم تكن للسلطان رعية حصل سلطان نفسه إذا سلم منهم. وإياك والغفلة عن النظر في أمورهم وأمور مملكتك ثم نفسك. وقدم ماتصلح به آخرتك ينصلح أمر دنياك. وسبيلك إذا لقيت حرباً أن تكون حازم الرأي في جميع أمرك. واحذر الهزيمة فإنها إذا وقعت بعسكر ليس يشد حزاماً سريعاً[4]. وأكثر الجواسيس لتكون أخبار أعدائك معك وقتاً فوقتاً. واحذر من حيلة تعمل عليك. وإذا أمرتَ بأمر فاسأل عنه بعد ذلك ولاتقصر فيه فيلحقك عن ذلك نقصان الهيبة. وإذا أمرت أن يكتب لك كتاب فاحذر ختمه وإنفاذه دون أن تقرأه أنت، لأن الحيل تقع بالملوك ومـاأنت أول ملك أهل لهذا الأمر. وإياك أن تأنس إلى أحد وتكشف إليه سرك، بل يكون خواصك ورعيتك يأنسون إليك بحسن سياستك لهم. واجعل النوم لك بقدر راحة جسمك، ولاتشغل نفسك إلا بجد الأشياء ليكون أمرك كله جداً بلا هزل وإذا هممت فافعل: وإذا ظفرت فأبْقِ. وإذا أبقيت فاحذر. وإياك والغفلة عن الكيمياء العظمى وسياسة أهلها وميل قلوبهم والمسامحة لهم وهم الفلاحون، وإن الكيمياء عمارة الأرض بالزرع والنبات، فإن الرعية بها يسكنون، والجيد

---

(1) منقوطة هكذا في نسخة من النسخ الباقية. وهكذا: ابسيلوخش بسيلوحيس.

(2) أو: ترغب.

(3) أي حلاله.

(4) أو: فسريعاً ـ شد للأمر حزاماً: تدارك الأمر.

منها يكثرون، وبيوت الأعمال منها تعمر، والدولة بها تثبت. فليس سبيلك أن تغفل عن أمر هذا عقباه. وسبيلك أن تكرم أصحاب المراتب في المذهب من كل إنسان على قدر أهله وعلمه. وانتهز إكرامهم لئلا تجهل الرعية حقوق أهل الفضل. ومن يطلب العلم فأكرمه واعرف حقه وفوق الإحسان إليه لتزيد همته فيه ويلطف عقله ويصفو ذهنه ويقل همه في أمر دنياه ـ تنتفع به إن شاء الله، وعجل العقوبة على المفسدين في الأرض بعد أن يصح عندك جرمهم وتتضح جنايتهم. ومن قدح في ملكك فاضرب عنقه وأشهره[1] ليحذر غيره. ومن سرق فاقطع يده. ومن تلصص في طريق فاضرب عنقه واصلبه ليشتهر بذلك وتأمن سبلك. ومن وجد مع ذكر مثله يفسق به فحرقه بالنار واجب. ومن وجد مع امرأة يزنى بها فاضربه خمسين جلدةً، وارجم المرأة مائة حجر بعد إقامة البينة الثقة على ذلك[2]. واحذر أن تسمع ساعٍ، بل إذا صح عندك سعايته فعجل عليه العقوبة واشهره ترح قلبك أن يشتغل بالمحال. وإياك والغفلة عمن في الحبوس في كل شهر لئلا يكون فيهم مظلوم: فمن استحق التخلية أطلقت سبيله بعد الإحسان إليه. وإن استحق العقوبة عجلت عليه. ومن استحق أن يمهل عليه إلى أن يكشف عن حاله رددته فيه واحذر الإعجاب برأيك. والزم المشاورة لمن حسن عقله وطعن في سن لكثرة مامر عليه من التجارب. وحصل آراءهم فإن رأيت في أحدهم سداداً، وإلا فاعقد أنت من جميعهم رأياً سديداً ترشد وبالله التوفيق.

وقال: الشريف من استعمل الفضائل. وأعظم الشرف العدل والفقه والجود قبل الطلب.

وقال: حقيق أن يطلب المرء الحكمة ويثبتها في نفسه، ولايجزع من المصائب التي تعم الأخيار، ولايأخذ بالكبر ولافيما يبلغ من سرف ولايزهو بحال الغنى والسلطان، ويعدل بين نيته وقوله وفعله، وتكون سنته لاعيب فيها، ودينه غير مختلف، وحجته لاتنقص، فما يغير الله مابه من الأمن له ولعقبه.

وقال: لايستطيع أحد أن يجد الخير والحكمة إلا أن تخلص نفسه في المعاد. ولاخلاص له منه إلاّ أن تكون له ثلاثة أشياء: وزير، وولي، وصديق. فوزيره عقله ووليه عفته، وصديقه عمله الصالح.

---

(1) أي واجعله علناً حتى يحذر غيره ـ وفي نسخة: واشهر ليحذر.

(2) يظهر من هذا القول أن صاحب هذا الكلام مسلم.

وقال: لكل شيء حيلة غير الموت، وكل شيء فان غير الإثم، وكل شيء يبيد غير العمل الصالح، وكل شيء يطاق تغييره غير الطباع، وكل شيء يقدر على إصلاحه غير الخلق السوء، وكل شيء يستطاع دفعه غير القضاء.

وقال: ليس العجب ممن امتنعت عليه الشهوات أن يكون فاضلاً. وإنما العجب ممن الشهوات مقرونة به ويكون فاضلاً.

وقال: لاخير فيمن يستر وجه العفو بمكروه التقريع.

وقال: لاتعاجل الذنب بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار طريقاً.

وقال: زلة العالم تكسر السفينة فتغرق، وتغرق خلقاً كثيراً.

وقال: الغنى وطن، والفقر غربة، والطمع رقٌ، واليأس حرية.

وقال: إذا لم يكن الملك يقدر على قهر حواسه وغلبة شهواته، فكيف يقدر على ضبط رعيته ومابَعُدَ عن مملكته؟ فسبيل الملك أن يبتدئ بسلطانه على نفسه ليستقيم له سلطانه على غيره.

«هذا كتاب السبع كواكب السيارة»

للمحقق المدقق الفيلسوف اليوناني

(الحكيم هرمس رحمه الله)

(وهذه صفة الجمل الكبير فافهم ترشد)

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح
1	2	3	4	5	6	7	8
ط	ي	ك	ل	م	ن	س	ع
9	10	20	30	40	50	60	70
ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ
80	90	100	200	300	400	500	600
ذ	ض	ظ	غ				
700	800	900	1000				

مريخ	مشتري	زحل
عطارد	الزهرة	شمس
	القمر	

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (وبعد)، فهذه طريقة الحكيم هرمس جعلها للرجال والنساء على الكواكب السبعة السيارة فإذا أردت العمل بها فاحسب اسم الرجل واسم امه بالجمل الكبير وأسقط 77، وتمر بالفاضل على الأبيات فإن فضل واحد فهو لزحل وإن فضل اثنان فهو للمشتري، وإن فضل ثلاثة فهو للمريخ، وإن فضل أربعة فهو للشمس، وإن فضل خمسة فهو للزهرة، وإن فضل ستة فهو لعطارد، وإن فضل سبعة فهو للقمر، وهذه صفة الخاتم، فإذا أردت الاختصار تأمر الشخص أو الحرمة بوضْعِ يده على

خانة من هذا الخاتم وبالله التوفيق .

(القول على الطالع الأول) وهو طالع كوكب زحل:

قال الحكيم فيه شعر

سبع سموات خلقها الباري بلا عمد ... وبسط الأرضين على ماء جمد

وخلق الخلق وأحصاهم عدد ... وتكفل بأرزاق العباد لم ينس أحد

قال الحكيم: صاحب هذا الطالع يكون مباركاً ابن حلال صافي النية جليل القدر، صاحب الخيرات على حسن الطالع زحل، لأنه سلطان الأفلاك مافي السماء أكبر منه حظاً ولا في الأرض أقل قسمة منه، وصاحب هذا الطالع يفعل الجميل مع غير أهله، والناس على أقسام منهم من يحب ومنهم من يبغض، وهو كثير الخير فلا بد من عسر ويسر وضيق وفرج وسقم وصحة، لأن الزمان لايدوم على حالة واحدة تارة لك وتارة لغيرك، قال الحكيم: وله ثلاثة وجوه وثلاثة علامات **(الوجه الأول)** من نظر إليه زحل قال الحكيم يخاف عليه من وجع الرأس وخفقان القلب، ونزلات تنزل عليه من رأسه إلى قدميه، قال الحكيم: يبقى ساهياً غائباً عن الوجود، يقف ينمو يمشي ينهج يحس بسلب القلب وهمدان الجثة، وإذا نام يقوم من منامه مهمد الأذرع قال الحكيم: فإن حصل له شيء من ذلك فيكون سببه أنه اغتسل في مكان خال من الناس ودفق الماء على رأس طارق من طوارق العمار، فقام عليه ونفخ في وجهه فأصابه ذلك، فإذا أردت خلاصه من الأوجاع ومنع العارض عنه فاكتب له حجاب الأقسام وشفاء الأسقام ويحمله على طهارة كاملة بعد أن يبخره بالعود والجاوي، فإنه يكون أماناً من المعكوسات والله أعلم. **(الوجه الثاني)** من نظر إليه المشتري يخاف عليه من قيل وقال وضرب لسان، وهرج كلام، وتعب شديد بينه وبين جماعة بسبب امرأة تكون رفيقة أو صديقة، ويتعب بسببها تعباً شديداً وربما يشغلونه بخط الأقلام ويسحرونه ويتكلمون في حقه بكلام لاخير فيه، ولكن الله سبحانه وتعالى ينجيه منهم ومن كيدهم، والله أعلم، فإن حصل له ذلك الأمر يكتب له تحويطة لإبطال السحر والعمل، ويحملها معه يبرأ بإذن الله والله أعلم، **(الوجه الثالث)** من نظر إليه المريخ قال الحكيم يخاف عليه من الانتقال من مكان إلى مكان ومن عتبة إلى عتبة، وربما يخرج من يده شيء يندم عليه وهيهات الندم على مافات، ولابد مايحصل له أسقام وتعب قلب من جهة أنثى تكون بعيدة عنه أو غضبى منه، خارجة من

يده، وهو مولع بها ولكن العواقب حميدة، والاجتماع حاصل والحبيب مواصل، قال الحكيم: صاحب هذا النجم يتزوج النساء بالفرد ويرزق أولاداً بالجوز، وربما يفارق أول نسائه بموت أو طلاق، يأخذ غيرها، ويحصل له غضب ورضا وتعب من بعض نسائه، وأصل ذلك من خطوط الأقلام من الأعداء والحساد، فإن حصل له ذلك الأمر يكتب له حجاب ويبخر بالبخور المذكور، ويبخر به المراد، وأرى عليك نذراً لبعض الصالحين أوفيه لهم يعوضك الله خيراً، قال الحكيم: وصاحب هذا الطالع يحرص على نفسه من الناس فإنه له بخت معهم، ولكن البخت عند الله، ولابد له من حصول ماله ونوال إما من بيع أو شراء أو من رجل جليل القدر، ولو في آخر عمره، وينال العز والجاه والمراد، ويقهر الأعداء والحساد بحسن الاعتقاد، لأنه صافي النية، وحوائجه كلها مقضية، بإذن رب البرية، بها تطلق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع الثاني) وهو طالع كوكب المشتري

قال الحكيم:

الحجر والمدر والدالي وزحل، نطقوا للنبي المفتخر قال الحكيم: صاحب هذا الطالع يكون مبروك ابن حلال قلبه أبيض يبلغ الخير والآمال، ولكن يحمل الهموم على قلبه من أجل غيره، ولكن الله سبحانه وتعالى يفرج عنه من حسن نيته، ولكن طالعه يخبر بالخير ومنع الأسية وزوال كل هم وغم وضيق وبلية، وقد دل هذا الكتاب أن صاحب هذا الطالع يكون قلبه مشغولاً من جهة أنثى أو إنسان غائب عنه أو مريض أو مسافر أو مسجون وقلبه في فكر ووسواس ليلاً ونهاراً فلابد من الاجتماع على أحسن مايكون ويزول التعب والغبون، وأنت أيها الشات ناو على نية وجماعة أنت قاصد منهم حاجة، ولكن فيها تعويق أيام قليلة، فعليك بالصبرِ لأن من صبر سلم، ومن لج ندم، فإن العجلة ندامة والصبر عواقبه سلامة ثلاثة وجوه **(الوجه الأول)** من نظرت إليه الشمس قال الحكيم يخاف عليه من قيل وقال وهرج كلام بينه وبين جماعة بسبب أرضية أو دراهم عددية أو حرمة ولية، وأصل ذلك التعب من امرأة سمراء اللون أو قمحية، فإنها تسعى له في الأذية بما تعمل لك بالصدة والبغضة، حتى تفرق بينك وبين نسائك وإخوتك وبين من يحبه قلبك وهي أكبر أعداك

وحسادك، وربما يحصل لك بسببها أمور شديدة حتى تقف على يد حاكم أو قاضي، أو يد قوية، وقدرة الباري تنجيك منها والله أعلم (**الوجه الثاني**) من نظرت إليه الزهرة قال الحكيم: يخاف عليه شدة وضرورة حتى يشرف على الهلاك وينجو منها ويخاف عليه من خصمه، وفزع وتكون على غفلة في الليل فيحصل له منها وجع الرأس والقلب والمفاصل والرجيف والخوف، وسبب ذلك أنها رعبة في البدن، قال الحكيم: فإن حصل له شيء من ذلك يكتب له حجاب الأنوار ويبخر بميعة سائلة وشبه زفرة وفاسوخ ويحمله على طهارة فإنه يبرأ والله أعلم (**الوجه الثالث**) ينظر إليه عطارد، قال الحكيم: يتزوج من النساء بالجوز ويرزق من الأولاد بالفرد، وربما يجمع حرمتين في عصمة واحدة ولكن يخاف عليه من غضب ورضا وتعب قلب من بعض نسائه، وهو الغالب عليهن، يبيح بسره لمن لايكتمه ويطعم عيشه لمن لايحفظه ويقاسي أهوالاً كثيرة من أمور الدنيا، قال الحكيم يخاف عليه وعلى أولاده من النظرة والقرناء والتوابع وأمهات الصبيان، فإن حصل له شيء من ذلك يكتب له حجاب الأنوار ويبخر بالبخور المذكور ويحمله ينجو بإذن الله، وأرى عليك نذر لبعض الصالحين من جهة أمر وقعت فيه فوفه لصاحبه يعوض الله عليك خيراً، ولابد مايدخل في يدك مال ورزق من قبل ميراث أو من رجل جليل القدر وتبلغ مرادك وتقهر أعداك بحسن اعتقادك وإن الحاجة التي أضمرت عليها فإنها مقضية بإذن الله والله أعلم.

(الطالع الثالث) وهو طالع كوكب المريخ

قال الحكيم:

السيف وحده والقلم وابن آدم وسعده ومن لايسعده ربه ياتعب قلبه، قال الحكيم: صاحب هذا الطالع يكون جليل القدر كريم النفس سخي الكف رقيق القلب قنوعاً محبوباً عند جميع الناس، ولكن مبغوضاً عند البعض منهم، وهو غافل عن ذلك لايعلم الذي يحبه من الذي يبغضه، ويفعل الجميل مع الناس ويزرع معهم المعروف ولكنه سريع الغضب قريب الرجوع؛ لأن نجمه هوائي لايثبت على حالة واحدة، والكلمة التي في بطنه على طرف لسانه، من جاءه بكلام طيب ملكه، من عانده لايقدر عليه وهو صاحب معروف وعقل وتدبير يقول الحق ولو كان على نفسه، ويكره الباطل، غير أنه قليل البخت في عشرة الناس، ولكن البخت عند الله، وله ثلاثة وجوه (**الوجه الأول**) من نظر إليه المشتري قال الحكيم: يخاف عليه من قيل

وقال، وضرب لسان بينه وبين جماعة بسبب أرضية أو دراهم عددية، وربما يقف معهم على حاكم أو يد قوية، وقدرة الباري تنجيك منها، قال الحكيم: يخاف عليه من امرأة سمراء اللون أو محندقة العيون، وقيل إنها أرملة، وربما تعمل لك عملاً من الأعمال الردية بالصد والبغض حتى تفرق بينك وبين من يحبه قلبك، فاحذر منها كل الحذر، وهي تغيب وتحضر بالأذية والأعمال الردية، ومرادها تحفر لك بئر وترميك فيه، ولكن الله ينجيك منها ومن كيدها والله أعلم (**الوجه الثاني**) من نظر إليه زحل قال الحكيم يخاف عليه من وجع القلب والرأس وضربان العظم ونوازل تنزل عليه من رأسه إلى قدمه، تلبسه كما يلبس الإنسان القميص على البدن، يبقى ساهياً يقف يدوخ يمشي ويحس بسلب القلب، قال الحكيم: فإن حصل له شيء من ذلك فيكون قد أقبل على مريض من مرضى الجن فأصابه برجله وخطاه ففاق، وضربه في رأسه وقلبه فيكون منع ذلك منه بأن يكتب له حجاب كنز العرش ويحمله بعد أن يبخر بأسماء التهاطيل مع الجاوي والكزبرة سبعة أيام بإذن الله والله أعلم. (**الوجه الثالث**) من نظر إليه المشتري قال الحكيم: يتزوج من النساء بالفرد ويرزق الأولاد بالجوز وربما يفارق أول نسائه بموت أو طلاق، ويأخذ غيرها ويتعب تعباً شديداً من بعض نسائه وهو مهموم القلب في فكر ووسواس ليلاً ونهاراً، ولكن نجمه يغلب عليهم بإذن الله، ولابد لك أيها السائل من طريق مفتوح وغربة تتغرب فيها عن قريب، وترجع سالماً، وأنت أيها السائل طالعك سعيد وأوقاتك طيبة وعواقبك حميدة فأبشر أيها السائل بزيادة الخيرات، وإذهاب النكد والتعسرات، ولكن العين والنظر تأكل في مالك وعيالك مثل ماتأكل النار في الحطب اليابس، ولكن يوافقك أن يكتب لك الأحراز الذي يعتقد بها الألسن، فإنك تبلغ مرادك مثل حجاب الكنز وتبخر بالبخور المذكور وتحمله معك فإنك تنال مقصودك، وتقهر أعداك، وإن الحاجة التي ضمرت عليها مقضية بإذن الله سبحانه وتعالى.

(القول على الطالع الرابع)

تزود من الدنيا وكل من حلالها ... غداً ترتحل عنها وتسكن ترابها

واعمل لنفسك صالحاً ترضى به ... ولا كل من طلب السعادة نالها

الصدق وعد والعناية صدق، ومن لايسعده مولاه ياخيبة رجاه، قال الحكيم: صاحب

هذا النجم الطالع يكون مباركاً ابن حلال، صافي النية قلبه أبيض لاتضيع عنده الأمانة قليل البخت في ثلاثة: الرفقة والشركة والضمانة، إن رافق تعب وإن شارك خسر وإن ضمن غرم وإن عاشر الناس يأكلوا منه ولايأكل هو منهم، يعمل الطيب ينقلب عليه بالأسية محسود من أقرب الناس إليه، وأنت أيها السائل لابد لك من ثلاثة وجوه **(الوجه الأول)**: من نظر إليه المريخ قال الحكيم: يخاف عليه من شدة وضرر فيحصل له وجع القلب والأعضاء والمفاصل وضيق الخلق وقلة الجهد، ربما تنزل عليه نزلات صدمة من رأسه إلى قدميه، يبقى ساهياً غائباً عن الوجود وسبب ذلك أنها خضة حصلت له على الريق أو على صورة أو رؤية منام تصورت له في صورة جمل أو ثعبان أو شخص وهم عليه، فانتبه من منامه مرعوباً فأصابه ذلك الأمر، فإن بانت فيه هذه الإشارة يكتب له حجاب السيد ميططرون ويبخر بعود وعنبر وجاوي يحمله معه على طهارة كاملة، ويكتب له بعد ذلك أسماء التهاطيل السبعة، ثم يتبخر بهم مع الجاوي والفسوخ المغربي يبرأ بإذن الله سبحانه وتعالى والله أعلم **(الوجه الثاني)** من نظرت إليه الشمس قال الحكيم يتزوج من النساء بالفرد، يرزق من الأولاد بالفرد، وتكون عاقبته حميدة مفيدة، ولكن يخاف عليه من قيل وقال وضرب لسان وهرج كلام بينه وبين جماعته، بسبب أرضية أو دراهم عددية أو حرمة وليه، ربما تقف معهم على يد حاكم أو ظالم أو يد قوية وتنجو منها، وتكون أنت غالباً على أعداك بإذن الله والله أعلم، **(الوجه الثالث)** من نظرت إليه الزهرة قال الحكيم: صاحب هذا الطالع يكون حلو الكلام مليح الابتسام طالعه سعيد فلابد له من رزق جديد وعمر مديد ويكون من كسب حلال إما من بيع أو من شراء أو من رجل جليل القدر، وينال على يده الخير والبركة، ولكن يكون عنده الصبر وكتمان السر، لايبيح بسره لمن لايكتمه، وأنت أيها السائل عندك اشتغال بال وتعب بسبب إنسان يكون غائباً أو بعيداً أو مسافراً أو غضبان أو خارجاً من اليد، وقلبك مولع به ليلاً ونهاراً فلابد لك من الاجتماع إليه عن قريب، قال الحكيم: صاحب هذا الطالع يخاف عليه من هم وغم وتعب من هموم الزمان أو من امرأة ينظر إليها بالمحبة والمودة، ولكن يتكلمون عليه الناس بالكلام الزايد والناقص، وهو يريد المحبة والمودة بينها وبينه على أمان ورفق واتصال، فلابد له من بلوغ المراد، ولكنه يكون حريصاً على نفسه من شخص ذَكَر، يقف له بخلاف في أموره، فإن حصل له شيء من ذلك يكتب له حجاب السيد مططرون، فإنه يبلغ كل مأمله، وأنت أيها السائل تنال مرادك وتبلغ مقصودك وإن الحاجة التي أضمرت عليها

فإنها مقضية بإذن رب البرية بهذا نطق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع وهو الطالع الخامس) وهو طالع كوكب الزهرة

أيها السائل من كرم الله تعالى عليك بالأمان بعد الخوف ومنع الاختلاف والفرج بعد الضيق وزوال العكس وتفريج الكربَ وتمام السعد والسرور والنجاة في سائر الأمور، وقال الحكيم: صاحب هذا النجم الطالع يكون مباركاً ابن حلال صافي النية مليح الوجه جليل القدر ينال رفعة وعلو درجة، وربما أنه يخالط الأكابر ويسعد من قبل رجل جليل القدر من أصحابه وينال منه عزاً وقدراً أو جاهاً وخيراً، فأبشر أيها السائل بزيادة الخيرات وذهاب النكد والتعسيرات، فأوقاته طيبة وأموره مرضية بإذن رب البرية، فاعزم على ماقصدت تنل جميع ماطلبت لأن نجمك مبشر بنجاح أمرك وإبعاد ضدك وانشراح صدرك، ففرحك بالبشارة ظاهر ومعيشتك هنية، والكلمة التي في بطنك على طرف لسانك وأنت أيها السائل تبيح بسرك لمن لايكتمه وتطعم عيشك لمن لايحفظه والله أعلم، وله ثلاثة وجوه (**الوجه الأول**) من نظر إليه عطارد يخاف عليه من مخاصمة ومشاجرة وعداوة، تقع بينه وبين جماعة بسبب أرضية أو دراهم عددية وأصل ذلك من امرأة بيضاء اللون تسعى في الأذية والأعمال الردية، ولكن الله سبحانه وتعالى ينجيك منها والله أعلم، (**الوجه الثاني**) من نظر إليه القمر قال الحكيم يخاف عليه من شدة وضرورة حتى يشرف منها على الهلاك، وينجو وتكون تلك الشدة من أرياح الجن والشياطين، وتنزل عليه نزلات تلبسه من رأسه إلى قدمه كما يلبس الإنسان القميص على البدن، ويخاف عليه من وجع الرأس والقلب والأعضاء وجميع المفاصل، وأصلها من العين والنظرة فإن حصل له شيء من ذلك فيكتب له حجاب الأنوار وآيات الشفا فإنه يبرأ بإذن الله والله أعلم (**الوجه الثالث**) من نظر إليه زحل قال الحكيم يتزوج من النساء بالفرد ويرزق الأولاد بالزوج وربما يفارق أول نسائه ويحصل له قيل وقال وضرب لسان وغضب ورضا وتعب قلب ويقاسي من بعض نسائه تعباً، وينجو منه بصفو نيته، وقد ظهر لصاحب هذا الطالع بشارة وعمارة وكلام مليح، أما البشارة شيء قد خرج من اليد، إما نفس إنسان أو مال فإن كان مالاً فإنه يرجع على أحسن بعد التعب، وإن كان السؤال عن نفس إنسان فاعلم أنه يقدم عليك يجتمع به عن قريب، ولابد لك من حركة السفر وتنال الكسب والفائدة وتنال كل ما تؤمله وترتجيه، ولكن يخاف عليك من الأعداء والحساد فإنهم

يقولون عليك ماليس فيك وأنت صافي النية، ربما يحصل لك قيل وقال وضرب لسان، ولكن أنت الغالب عليهم، فإذا أراد أن يكون له صحبة ومودة يعقد عنه لسان كل كبير وصغير من أولاد آدم وبنات حواء يكتب له حجاب الأنوار ويبخر ببخور الحلك على طهارة كاملة فإنه ينجو من ذلك والله أعلم.

(القول على الطالع السادس) وهو طالع عطارد

قال الحكيم صاحب هذا النجم يكون مبارك الطلعة قلبه أبيض صافي النية فيه ثلاثة أشياء لاهو ظنان ولاهو خوان، ولايريد للناس السوء، ويحب الناس ويعاشرهم، غير أنه قليل البخت في عشرتهم؛ لأنه أمن جماعة خانوه وقربهم وأبعدوه، وناس انقلبوا عليه انقلاب الدست على مجامر النيران، ولكن هو الغالب والله أعلم، ولابد له من ثلاثة وجوه وثلاث علامات **(الوجه الأول)** من نظر إليه المشتري قال الحكيم يخاف عليه من شدة وضرورة، أوجاع تلبسه من رأسه إلى قدميه كما يلبس الإنسان القيمص على البدن، فيظهر منها في بعض الأوقات وجع في رأسه وقلبه وأعضائه وجميع مفاصله، ويحصل له ضيق الخلق وضيق الصدر، يبقى مثل الجمل الهائج لكن بهمدان، وهمه في الليل أكثر من النهار، وسبب ذلك أنه رقد في مكان خال من الناس فهف عليه ريح من أرياح الجن الشياطين فأصابه ذلك الأمر. قال الحكيم: إن بانت فيه هذه الإشارة فليكتب له حجاب القفل ويبخر ببخور الأرواح، ويكتب له بعد ذلك التهاطيل السبعة، ثم يتخبر بهم مع الجاوي واللبان والفسوخ لمدة سبعة أيام فإنه يبرأ بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثاني)** من نظر إليه المريخ قال الحكيم: يتزوج من النساء بالزوج ويرزق من الأولاد بالفرد، وربما يفارق أول نسائه بموت أو طلاق، ويأخذ غيرها، ينقلبون عليه النساء وينال بسبب ذلك مشقة وتعباً وينجو منه، ويدل في هذا الكتاب أنه يتزوج بامرأة جليلة القدر تنسب إلى بيت عال، وينال من قبلها مالاً جزيلاً وخيراً كثيراً وينال من قبل أولاده مايسره ولكن يخاف عليه وعلى أولاده من العين والنظرة والحسد، فإن حصل له شيء من ذلك فيكتب له حجاب القفل ويبخر بالبخور المذكور ويحمله معه فإنه ينجو من ذلك والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظرت إليه الشمس قال الحكيم: يخاف من مخاصمة ومشاجرة ومكايد وقيل وقال وضرب لسان وهرج كلام بينه

وبين جماعة بسبب أرضيه أو دراهم عددية، ويقاسي بسبب ذلك مشقة وتعباً ويشتد عليه ذلك الأمر حتى يقف معهم على يد حاكم أو ظالم وينجو منهم، قال الحكيم: وقد ظهر لصاحب هذا الطالع ثلاثة أشياء بشارة وعمارة وزيارة أما البشارة فرزق والعمارة تعمر مكاناً غير المكان الذي ولدت فيه والزيارة تنال الحج إلى بيت الله الحرام، وترجع سالماً، ولابد لك أيها السائل من حصول مال ونوال إما من بيع أو شراء أو ميراث أو من رجل جليل القدر، وتنال العز والجاه بقدرة الله، ولابد لك أيها السائل من اشتغال بال وتعب قلب من جهة إنسان يكون بعيداً منك أو مريضاً، ومسجوناً يكون مسافراً أو أنثى تكون محكومة عنك أو بعيدة أو خارجة من اليد، وقلبك تعبان بسبب ذلك فلابد لك من الاجتماع بما في ضميرك، كل ما تؤمله وترتجيه وتكون عواقبه حميدة، ويخاف عليك من الأعداء والحساد أو من شخص ذكر أسمر اللون، فإذا أراد أن يكون له صحبة ومودة وينعقد عنه كل لسان كبير وصغير من أولاد آدم وبنات حواء، فيكتب له حجاب القفل ويبخر ببخور الأرواح فيكون أماناً لَهُ مما ذكرنا بهذا نطق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع السابع) وهو طالع كوكب القمر وهو سعيد مبارك

قال الحكيم:

الحجر والمدر والقمر الدالي، وزحل نطقوا للنبي المفتخر، قال الحكيم: صاحب هذا الطالع يكون مبروكاً ابن حلال عنده أمانة قلبه أبيض صافي النية كامل العقل رئيساً يفعل المعروف مع من يعرفه ومن لايعرفه، وأنت أيها السائل صابر وصبرك لايضيع، قال الحكيم: صاحب هذا الطالع لابد له من عسر ويسر وصحة وسقم، لأن العالم أطوار والفلك أدوار والأعمار قصار، وليس للعبد اختيار لافي الليل ولا في النهار، والقدرة والإرادة للواحد القهار وله ثلاثة وجوه، **(الوجه الأول)**: من نظرت إليه الزهرة قال الحكيم يخاف عليه من الأمراض وخذلان الأعضاء وجميع المفاصل وخفقان القلب، وطارق بوجع وارتجاف في الطبيعة وخصوصاً يخاف عليه من وجع الظهر ومجاري الماء، وسبب ذلك أنه التمس بريح من أرياح الجن فأصابه ذلك الأمر، فإن بانت فيه هذه العلامات يكتب له حجاب الأقطار وأسماء التهاطيل السبعة ثم يبخر بهم مع الجاوي واللبان والكزبرة ويحمله فإنه يبرأ بإذن الله والله أعلم، **(الوجه الثاني)** من نظر إليه عطارد قال الحكيم يخاف عليه من قيل وقال وضرب لسان وهرج

كلام بينه وبين جماعة بسبب أرضية أو دراهم عددية، أو حرمة ولية، وربما أنه يقف معهم على يد حاكم أو ظالم أو يد قوية، ويقاسي بسبب ذلك تعباً شديداً وينجو منه والله أعلم، قال الحكيم: يخاف عليه من قوم يأكلون خيره ويألفون غيره ويجعلون أنهم أحبابه في الظاهر والباطن خراب، يحسن إليهم ويسعون له في الأذية، ويتكلمون من قُدّامه بكلام، ومن ورائه بكلام وهو غافل عن ذلك لايعلم الذي يحبه من الذي يبغضه ولكن الله ينجيه منهم والله أعلم، (**الوجه الثالث**): من نظر إليه القمر قال الحكيم صاحب هذا الطالع يتزوج من النساء بالفرد ويرزق من الأولاد بالجوز، وإن فارق أول نسائه لابد أن يتزوج إلى الرابعة وربما أنه يجمع بين امرأتين، ويقاسي منهما مكايد عظيمة وينجو منها، ويخاف عليه وعلى أولاده من العين والنظرة والقرناء والتوابع وأمهات الصبيان ولايعيش له إلا القليل، ولكن يرزق بولد ذكر يكون جليل القدر، ويخاف على صاحب هذا الطالع من شيء يخرج من يده، إما مال أو إنسان، ويقاسي بسبب ذلك تعباً شديداً وهو مشغول به ليلاً ونهاراً، فلا بد من الاجتماع به عن قريب، وربما تنتقل من مكان إلى مكان ولكن يكون فيه الخير والصلاح، ولابد لك أيها السائل من حصول مال ونوال إما من بيع أو شراء أو من رجل جليل القدر، وينال العز والجاه والحظ الجزيل والعمر الطويل، ويكون محبوباً أينما توجه، وينال كل مايؤمله، ولكن يخاف عليه وعلى أولاده من الحسد من الناس، فإنهم يتكلمون في حقه بكلام لاخير فيه، ولكن نجمه غالب عليهم والله أعلم. فإذا أردت أن تكون له صحبة ومودة يعقد عنه كل لسان، فيكتب له كل حجاب الأقطار ويبخر بالبخور المذكور ويحمله معه ويكتب بعد ذلك التهاطيل السبعة ثم يبخر بها فإنه ينال العز والجاه ويبلغ المراد والله أعلم.

(تمت طوالع الرجال ويليها طوالع النساء)

بسم الله الرحمن الرحيم

(القول على الطالع الأول) وهو طالع كوكب زحل

قال الحكيم فيه شعراً:

سبع سموات خلقها الباري بلا عمد ... وبسط الأرضين على ماء جمد

وخلق الخلق وأحصاهم عدد ... وتكفل بالأرزاق فلم ينس أحد

قال الحكيم: صاحبة هذا النجم تكون مبروكة بنت حلال صابرة طاهرة حرة تحب النساء، وتهوى محل الضحك واللعب والطرب، وتكره الشر والنكد، وليس لها بخت مع من تعاشره؛ لأن عشرتها مع الغريب خير لها من القريب، وهي جليلة القدر وكثيرة الخيرات على حسن الطالع زحل، لأنه سلطان الأفلاك ومافي السموات أكبر منه حظاً، ولافي الأرض أقل قسمة منه، قال الحكيم: وصاحبة هذا الطالع لابد لها من عسر ويسر وضيق وفرج وصحة وسقم؛ لأن الزمان لايدوم على حالة واحدة تارة لها وتارة عليها، وصاحبة هذا الطالع لابد لها من ثلاثة وجوه. **(الوجه الأول)**: من نظر إليها زحل قال الحكيم: يخاف عليها من وجع الرأس وخفقان القلب، وتنزل عليها ثلاث نزلات من رأسها إلى قدميها، تبقى ساهية عن الوجود، تقف تدوخ تمشي تحس بسلب القلب ووجع الرأس وخذلان البدن، وإذا نامت تقوم من منامها ثقيلة الجثة مهمدة الأذرع، فإن حصل لها شيء من ذلك فيكون سببه أنها اغتسلت في مكان خال من الناس، ودفقت الماء على رأس طارق من العمار ففات عليها ونفخ في وجهها فأدركها ذلك الأمر، فإذا أرادت خلاصها من ذلك يكتب لها حجاب الأسقام، وشفاء الأسقام وتعلقه معها بعد أن تبخره بعود وجاوي وعنبر، فإنه يكون أماناً لها من جميع العكوسات والله أعلم. **(الوجه الثاني)** من نظر إليها المشتري قال الحكيم: تتزوج من الرجال بالفرد وترزق من الأولاد بالجوز، وربما تفارق أول رجالها بموت أو بطلاق، ولكن يخاف عليها من القيل والقال وضرب لسان وهرج كلام وتعب قلب، بينها وبين رجالها من جهة امرأة تكون صديقة أو شريكة وتتعب بسببها تعباً شديداً، ويشتد عليها ذلك الأمر حتى تقف على يد حاكم ويحكم بينهما بالفراق، وتقف على الصدر والبغض ويظهر من ذلك أمور صعبة، لأن وراءها عدوة ومبغضة لها، وتنظر لها بعين السوء وتريد الخراب في مالها وعيالها، وربما تعمل لها عملاً أو تسخر لها بخطوط الأقلام ويتكلمون في

حقها بكلام لاخير فيه، ولكن الله ينجيها منها، ومن كيدها والله أعلم. قال الحكيم: فإن حصل لها شيء من ذلك يكتب لها حجاب الأقسام وتبخر بالبخور المذكور وهو عنبر وجاوي وعود وميعة سايلة وتحملها معها، ويكتب لها بعد ذلك أسماء التهاطيل السبعة، وأسماء القمر النورانية، وتحمله معها على رأسها لنيل القصد وبلوغ المراد والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظر إليها المريخ قال الحكيم: يخاف عليها من الانتقال من مكان إلى مكان أو من عتبة إلى عتبة، وربما يخرج من يدها شيء وتندم عليه ولاينفع الندم، ويحصل لها اشتغال البال وتعب قلب من جهة إنسان يكون غائباً عنها أو مريضاً أو مسافراً أو مسجوناً، وقلبها مولع وهو أعز الأحباب إليها، ولكن العواقب كلها حميدة والاجتماع حاصل والحبيب مواصل، والأمور سليمة، قال الحكيم: وصاحبة هذا الطالع عليها من عاقة في بيت الولد، وتغلق فيها شهور كوامل، فإن حصل لها شيء من ذلك فيكون سببه أنها خطت على ملك من ملوك الجان فهفها في بيت أولادها، بما تقعد عن الحيض شهوراً وسنين عديدة فيأتي أوان الدم فتغبها أيام وترجع عليها أيام، وتغيب عنها ولاترجع، فإن حصل لها شيء من ذلك فيؤخذ لها هذه الوصفة التي بانت لها في الكتاب، وهي شيح وبابونج وعقدة ريح، وتوتية هندي وكمون كرماني ومرسين تدق الجميع وتغليهم في زيت طيب، وتعملهم صوفتين تتحمل منهما واحدة على الدم والأخرى بعد الطهر من الحيض، فإنها تحمل بإذن الله تعالى، ولابد لها من حصول مال ونوال من بيع أو شراء أو ميراث أو من رجل جليل القدر، ولو كان في آخر عمرها يفرح قلبها ويسر خاطرها وتبلغ المراد وتقهر الأعداء والحساد بهذا نطق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع الثاني) وهو طالع كوكب المشتري

قال الحكيم:

الحجر والمدر والدالي وزحل نطقوا للنبي المفتخر، قال الحكيم: صاحبة هذا النجم تكون مبروكة بنت حلال، قلبها أبيض لمن تصاحبه، تحمل الهموم على قلبها من أجل غيرها، ولكن الله يفرج عنها بحسن نيتها، وطالعها يخبرها الخير ومنع الأسية وزوال كل هم وغم وضيق وبلية، وقد دل هذا الكتاب أن صاحبة هذا الطالع قلبها مشغول من جهة إنسان غائب عنها أو غضبان أو مريض أو خارج أو مسافر، وقلبها تعبان من أجله، هي في فكر وسواس ليلاً ونهاراً فلا بد لها من الاجتماع به على أحسن مايكون، ويزول عنها التعب والغبون، أنت أيتها السائلة ناوية على نية وجماعة قاصدة منهم حاجة، ولكن هذه الحاجة فيها تعويق أيام قلايل، فعليك

بالصبر لأن من صبر سلم ومن لج ندم والله أعلم. ولابد لها من ثلاثة وجوه: **(الوجه الأول)** من نظرت إليها الشمس قال الحكيم: يخاف عليها من قيل وقال وهرج كلام وتعب قلب مع الرجال، وأصل ذلك أن إمراة سمرة اللون بشعة الوجه محندقة العيون تسعى لها في الأذية والأعمال الردية، وربما تعمل بها بالبغضة، حتى تفرق بينها وبين رجالها، وهي أكبر أعدائها ولو طالت العشرة، وصاحبة هذا الطالع تتزوج الرجال بالزوج وترزق من الأولاد بالفرد، ربما تفارق أول رجالها بموت أو بطلاق، وتأخذ غيره ويحصل لها تعب شديد، وأصل ذلك التعب من خطوط الأقلام والسحر والله أعلم. فإن حصل لها شيء من ذلك يكتب لها حجاب الأنوار وتعلقه بعد أن تبخره بعود وجاوي وعنبر وحصا لبان ذكر، وتحمله على طهارة كاملة ويكتب لها ثلاثة أوراق تتبخر بهم مع الميعة السايلة والشبة الزفرة والفسوخ المغربي، فإنها تبرأ بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثاني)** من نظرت إليها الزهرة قال الحكيم: يخاف عليها من شدة حتى تشرف على الهلاك وتنجو منها، ويخاف عليها من شدة أو من خضة وفزع في ليل أو نهار يكون على الريق أو على غفلة، فتورثها وجع الرأس والرجيف، ووجع القلب والمفاصل والأسنان، قال الحكيم: فإن حصل لها ذلك الأمر يكتب لها حجاب الأنوار ويبخر بالبخور المذكور، فإنها تبرأ بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظر إليها عطارد تكون امرأة سمراء اللون مقرونة الحواجب قال الحكيم: يخاف عليها من عاقة في بيت الولد مدة من الزمان، وربما يقعد فيها مدة من شهور كوامل، وسنين معدة، وتقاسي فيها تعباً شديداً من قبل هفوات الجن، وتسدُّ أمّ أولادها كما يسد الشق بالعجين، والقنا بالطين، وربما تعوقها من الحبل أيام وليال وبعد ذلك تنفك بقدرة الله تعالى وتنال مرادها على كيد العدا والحساد، قال الحكيم: فإن حصل لها ذلك الأمر وتعوقت عن الحبل فتؤخذ لها هذه الوصفة التي بانت لها في الكتاب، وهي زعفران مغربي وإهليج وعناب وكمون كرماني وخزامة ومرسين تدق الجميع وتغليهم في زيت طيب وتقلبهم في وبر جمل صغير وتعملهم صوفتين تتحمل بواحدة منها على الدم والأخرى بعد الطهر من الحيض فإنها تحبل بإذن الله، ويخاف عليها على أولادها من العين والنظرة من القرنا والتوابع وأمهات الصبيان، فإن حصل لها شيء من ذلك يكتب لها حجاب الأنوار وتبخره بالبخور المذكور فإنها تبرأ بإذن الله وأرى عليك نذراً لبعض الصالحين فأوفيه يعوضك الله خيراً منه، ولابد لها من حصول مال ونوال، إمّا من بيع وشراء أو ميراث من رجل جليل القدر، فإن ذلك يدخل تحت حكم يدها وتنال العز والجاه وتبلغ المراد وتقهر الأعداء والحساد بحسن الاعتقاد،

وإن الحاجة التي أضمرت عليها فإنها مقضية بإذن رب البرية بهذا نطق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع الثالث) وهو طالع كوكب المريخ

قال الحكيم:

السيف وحده والقلم ومده وابن آدم وسعده، ومن لايسعده ربه يتعب قلبه قال الحكيم صاحبة هذا النجم تكون بنت حلال قلبها أبيض جليلة القدر كريمة النفس سخية الكف شفوقة قنوعة طاهرة فاخرة حرة محبوبة عند الرجال مبغوضة عند البعض منهم، وهي غافلة عن ذلك لاتعلم الذي يحبها من الذي يبغضها، وهي تفعل الجميل مع الناس، سريعة الغضب، قريبة الرجوع لأن طبعها هوائي لاتثبت على حالة واحدة، كلمة توديها وكلمة تجيبها، والكلمة التي في قلبها على طرف لسانها، من جاها بالكلام اللين ملكها، ومن عاندها لم يقدر عليها، صاحبة قول معروف وعقل وتدبير تقول الحق وتكره الباطل، ولكن قليلة البخت في عشرة الناس، ويخاف عليها من العين والنظرة، ومن الخوانة من قبل جماعة يكونون صديقين من الأقارب إليها، ولابد لها من ثلاثة وجوه **(الوجه الأول)** من نظر إليها القمر يخاف عليها من قيل وقال وضرب لسان وهرج كلام وتعب شديد من قبل امرأة صفرة اللون محندقة العيون، وقيل إنها أرملة، وربما أنها تعمل لها عملاً بالبغضة حتى تفرق بينها وبين من يحبها، وهي تغيب وتحضر لها بالأذية، وإذا ظهرت تظهر لها مثل العقرب والثعبان، ومرادها ترميها في جب، ولكن الله ينجيها منها ومن كيدها ويرمي كيدها في نحرها، فإن كانت تعرفها تأمن منها غاية الأمن، فإنها أكبر أعدائها ولو طالت العشرة والله أعلم، **(الوجه الثاني)** من نظر إليها زحل قال الحكيم يخاف عليها من وجع الرأس والقلب وضربان العظم، وسواقط تنزل عليها من رأسها إلى قدمها، كما يلبس القميص على البدن، تبقى ساهية غائبة عن الوجود، قال الحكيم: فإن حصل لها شيء من ذلك فإنها تكون قد أقبلت على مريض من مرضى الجن فأصابته برجلها ففاق وضربها في رأسها وقلبها وغير حالها، قال الحكيم: فإذا أردت منع ذلك عنها يكتب لها سورة الجن فإنها تبرأ بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من يظهر إليها المشتري قال الحكيم: تتزوج من الرجال بالجوز وترزق من الأولاد بالفرد، وربما تفارق أول رجالها بموت أو بطلاق وتأخذ غيره، قال الحكيم: ويخاف عليها من غربة أو نقلة وخلو فراش وتغيير وجوه الرجال وتقاسي تعباً شديداً من قبل رجل من رجالها، ويخاف عليها من القيل والقال وضرب اللسان والفتنة من النساء وأسحارهن ومن سوء

مكرهن وهي مهمومة القلب في فكر ووسواس، قال الحكيم: يكتب لها حجاب الأقسام ويبخر بعود عنبر وجاوي وحصا لبان ذكر وتعلقه لإبطال السحر، وعقد اللسان عنها، ويكتب لها ثلاثة أوراق تتبخر بهم على ثلاثة أيام بالميعة السايلة وقشر المحلب، فإنها تأمن على نفسها مما تخاف، وإن حصل لها عاقة في بيت الولد وتعوقت عن الحبل فيؤخذ هذه الوصفة التي بانت لها في الكتاب وهي لسان ثور ومقل أزرق وخزامة ومرسين تدق الجميع وتعجنهم بالميعة السايلة وتعملهم صوفتين تتحمل بهما، واحدة قبل الطهر والثانية بعد الطهر من الحيض، وتعلق الحجاب المذكور فإنها تحبل بإذن الله تعالى، قال الحكيم وأنت أيتها السائلة طوالعك سعيدة وعواقبك حميدة وأمورك مفيدة وأوقاتك طيبة فأبشري بزيادة الخيرات وقضاء الحاجات وبلوغ المراد من رب العباد والله أعلم.

(القول على الطالع الرابع) وهو طالع كوكب الشمس

قال الحكيم:

تزودي من الدنيا وكلي من حلالها ... غداً ترحلي منها وتسكني بدالها

وأعمل لنفسك صالحاً ترضى به ... ولا كل من طلب السعادة نالها

قال الحكيم: صاحبة هذا النجم الطالع تكون مبروكة بنت حلال صابرة فاخرة تحب الضحك واللعب والانشراح، مليحة الكلام طالعها سعيد وقولها حميد، ولابد لها من رزق جديد وعمر مديد، ويكون رزقها من وجه حلال إما من بيع أو شراء أو ميراث من رجل جليل القدر وتأتيها بشارة، ويفرح قلبها، ولابد لها من معاشرة رجل جليل من رجالها وتنال العز على يديه والخير والبركة، ويكون عندها الصبر وكتمان السر، وقد قال هذا الكتاب إن عندها انشغال بال بسبب إنسان يكون غائباً أو مسافراً، وقلبها تعبان من أجله، وهي في فكر ووسواس ليلاً ونهاراً، ولابد لها من الاجتماع به قريباً، ولابد لها من ثلاثة وجوه: (**الوجه الأول**) من نظر إليها المريخ قال الحكيم: يخاف عليها من شدة وضرورة تعكر مزاجها فيحصل لها منها وجع الرأس والقلب وجميع المفاصل، وضيق الخلق، وقلة الجهد، وتنزل عليها نزلات كثيرة، وسبب ذلك خضة أو فزعة حصلت لها أو رؤية منام تصورت لها صورة رجل أو ثعبان، وهمّ عليها فانتبهت من منامها مرعوبة فأصابها ذلك الأمر، فإن بانت فيها هذه العلامات يكتب لها حجاب السيد مططرون، ويبخر بعود وجاوي وعنبر، ويعلق عليها،

وبعد ذلك يكتب لها أسماء التهاطيل السبعة وتتبخر بها مع الجاوي والفسوخ، فإنها تبرأ بإذن الله تعالى. **(الوجه الثاني)** من نظرت إليها الشمس تكون تتزوج من الرجال بالفرد وترزق من الأولاد بالزوج، وربما تفارق أول رجالها بموت أو طلاق، فإن فارقت الأول لابد أن تأخذ غيره مع هجرة وغربة وخلو فراش مدة من الزمان، وتقاسي فيه تعباً شديداً، وترتاح بعد ذلك من قبل رجل جليل القدر، وتنال منه رفعة وشاناً عظيماً، ولكن يخاف عليها من قيل وقال وهرج كلام وتعب قلب من بعض رجالها، وأصل ذلك التعب من امرأة سمراء اللون أو شخص طويل القامة، يتكلمون في حقها بكلام لاخير فيه، وربما أنهم يعملون لها بالبغضة ويتبعونها بالأذية، وسبب ذلك غيرة وحسد، قال الحكيم: يخاف عليها وعلى أولادها من العين والنظرة والقرنا والتوابع وأمهات الصبيان، ولكن يعيش لها من بعض أولادها ولد ذكر، ويكون سبب الفتوح، وتعيش في عزه وسعده فإن حصل لها ذلك الأمر، يكتب لها خط قلم روحاني لإبطال السحر وعقد اللسان عنها، ويكتب لها بعد ذلك ثلاث أوراق، وتحط في كل ورقة جنزار وقشر ثوم وميعه سايلة وتتبخر بهم، وتغتسل بعد البخور، فإنها تبرأ بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظرت إليها الزهرة قال الحكيم: يخاف عليها من عاقة تتعوق بها في بيت أولادها من قبل عوارض الأرض وهفوات الشيطان، فإنها تتعوق عن الحبل مدة شهور وسنين معدة، وربما يخالطها قطع الدم أيام وليالي، ويكون سببه الهفوة الأرضية فإن حصل لها ذلك الأمر وتعوقت عن الحبل فيؤخذ لها هذه الوصفة التي بانت لها في الكتاب، وهي مصطكى وزعفران مغربي وصبر سقطري، وقشر الحرمل وشيح وكمون كرماني من كل حاجة درهم وتدق الجميع وتغليهم في زيت طيب وتعملهم صوفتين تتحمل بواحدة على الدم والأخرى بعد الطهر، ويكتب لها حجاب السيد مططرون المقدم ذكره ويبخر بالبخور المذكور، فإنها تحبل بإذن الله، وصاحبة هذا النجم الطالع تنال العز والجاه، وتكون عواقبها حميدة، ولكن يخاف عليها من الأعداء والحساد وهي الغالبة عليهم بإذن الله وإن الحاجة التي ضمرت عليها مقضية بإذن الله، هكذا نطق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع الخامس) وهو كوكب الزهرة

أبشري أيتها السائلة بالأمان ومنع الاختلاف وزوال التعكيس وتفريج الكرب وتمام السرور والنجاة في سائر الأمور، وصاحبة هذا النجم تكون مبروكة بنت حلال قلبها أبيض

مليحة الوجه جليلة القدر محبوبة معزوزة عند كل الناس، مهابة معظمة مكرمة معجبة بنفسها تحب الضحك واللعب، وتكره الشر والنكد، وليس لها بخت مع من تعاشره، تعبانة القلب والخاطر، إلا أنها محبوبة عند الرجال مبغوضة عند النساء، تفعل الخير مع غير أهله وهي عزيزة النفس سخية الكف من جاها بالكلام واللين ملكها، سريعة الغضب ولكن قريبة الرجوع، ولكن صاحبة هذا النجم قولها سديد ونجمها سعيد فأبشري بزيادة الخير وإذهاب النكد، فأوقاتك طيبة وأمورك حميدة، فهمِّي واعزمي على ماقصدت تنالي ماطلبت، فإن نجمك مبشر بنجاح أمرك وإبعاد ضدك وانشراح صدرك، ونيتك صافية وقلبك أبيض تبيحي بسرك لمن لايكتمه صابرة على من يؤذيك، وإذا همت لشيء تساوي همتها همة الرجال، وإذا كسلت لايكون أحد أكسل منها، وكلما كبر سنها زاد قدرها من ثلاثة وجوه، **(الوجه الأول)** من نظر إليها عطارد قال الحكيم: يخاف عليها من مخاصمة ومشاجرة ومكيدة بين جماعة بسبب أرض أو دراهم، ويحصل لها قيل وقال وضرب لسان، وتقاسي بسبب ذلك تعباً شديداً، ولكن سبحانه وتعالى ينجيها منهم ومن كل سوء، ويخاف عليها من مرض حتى تشرف منه على الهلاك، وتنجو منه ويكون سببه من أرياح الجن، فيظهر لها منها هَمٌّ وغَمٌّ وضيق وتعب، وهي تلبسها من رأسها إلى قدمها ويخاف عليها من وجع الرأس والمفاصل وأصلها من العين والنظرة، فإن حصل لها شيء فيكتب لها حجاب الأنوار وآيات الشفا، وتعلقه عليها فإنها تبرأ بإذن الله. **(الوجه الثاني)** من نظر إليها القمر قال الحكيم: تتزوج من الرجال بالفرد وربما تفارق أول رجالها بموت أو طلاق وتأخذ غيره، ويقع لها تعب وغضب ورضا، يخاف عليها من صيرة قلوب الرجال عليها بلا سبب وتقاسي تعباً شديداً ويكون من خطوط الأقلام والأسحار أو من امرأة سمرة اللون أو بيضة، فإنها تسعى لها في الأذية والأعمال الردية، فإن حصل لها ذلك يكتب لها حجاب الأنوار ويعلق عليها ويكتب لها أسماء التهاطيل السبعة ثم تتبخر بهم مع الجاوي والكزبرة والفسوخ المغربي فإنها تنجو بإذن الله. **(الوجه الثالث)** من نظر إليها زحل قال الحكيم: ترزق من الأولاد بالزوج ولكن يخاف عليها من العين والنظرة والقرنا والتوابع، لأن القرنا يعارضونها في بعض أولادها، ويخاف عليها من العاقة في الحبل وربما يغبها الحيض أيام وتتغير عليها أيام يعني يجي في ميعاد، وينقلب في ميعاد فإن حصل لها ذلك الأمر وتعوقت عن الحبل يؤخذ لها هذه الوصفة وهي ثوم مقشور وعقدة ريح وكمون كرملي وخزامة ومرسين يُدق الجميع وتغليهم في زيت

طيب قديم، وتعملهم صوفتين تتحمل بواحدة منهم على الدم والأخرى بعد الطهر، ويكتب لها حجاب الأنوار ويعلق عليها بعد أن يكتب لها أسماء التهاطيل السبعة، ثم تتبخر فإنها تحبل بإذن الله تعالى. وقد ظهر لصاحبة هذا الطالع بشارة وعمارة وكلام مليح، أما البشارة فشيء يخرج من اليد وإما إنسان أو مال ويرجع لها على أحسن مايكون، ويزول عنها التعب والغبون، ولابد لصاحبة هذا الطالع من حركات السفر وترجع سالمة غانمة، وتنال الكسب والفائدة وحل العقدة، وتنال كلّ ما تؤمله، ولكن يخاف عليها من الأعداء والحساد فإنهم يقولون عليها ماليس فيها قال الحكيم: فإذا أرادت أن يكون لها صحبة ومودة، ويعقد عنها لسان كل صغير وكبير من أولاد آدم وبنات حواء، فيكتب لها حجاب الأنوار ويبخر بعود وعنبر وجاوي وحصالبان ذكر، ويعلق عليها بعد أن يكتب لها أسماء التهاطيل السبعة، وتتبخر بهم مع الكزبرة تبرأ بإذن الله والله أعلم.

(القول على الطالع السادس) وهو طالع كوكب عطارد

وهو طالع سعيد مبارك يخبر بالحق قال حكيم فيه شعراً:

يـــامن أمـــورك تبهرجـــت　　مـــن بعـــد ماستقامت تعوجـــت

اصـــبر علـــى حكـــم الإلـــه　　ماضـــــاقت إلا فرجـــــت

قال الحكيم: صاحبة هذا الطالع تكون مبروكة قلبها أبيض صافية النية والخاطر، تحب الضحك واللعب والطرب والزينة والروايح الطيبة، ولاتحب أن تجيب سيرة أحد بردي، وعندها الأمانة، وفيها ثلاث خصال يرضاهم الله والنبي، لاهي ظنانة ولاهي خوانة، ولاتريد للناس سوء، وهي تحب معاشرة الناس، إنها قليلة البخت في عشرتهم لأنها أمنت ناس وخانوها، ولكن هي الغالبة عليهم بإذن الله تعالى، وصاحبة هذا النجم الطالع لابد لها من ثلاثة وجوه (**الوجه الأول**) من نظر إليها المشتري قال الحكيم: يخاف عليها من شدة وضرورة وأوجاع تلبسها من رأسها إلى قدمها، فيظهر منها وجع الرأس والقلب والأعضاء ووجع المفاصل، وبعض الأوقات يحصل لها ضيق صدر وزعل، وتبقى مثل الجمل الهائج بهمدان وحمدان، وهمها الليل أكثر من النهار، وسبب ذلك أنها رقدت في مكان خال من الناس، ولم تسم فهف عليها ريح أرياح الجن فأورثها ذلك الأمر، فإن حصل لها شيء من ذلك فيكتب لها حجاب القفل ويبخر ببخور الأرياح، ويعلق بعد أن يكتب لها أسماء

التهاطيل السبعة، ثم تتبخر بهم مع الجاوي والفسوخ المغربي فإنها تبرأ بإذن الله. (**الوجه الثاني**) لمن نظر إليها المريخ قال الحكيم: تتزوج من الرجال بالزوج، وربما تفارق أول رجالها بموت أو طلاق، وتأخذ غيره وتتغير عليها الرجال وتقاسي بسبب ذلك مشقة وتعباً شديداً، وتنجو منه بإذن الله تعالى، قال الحكيم: ويدل في هذا الكتاب أنها تتزوج برجل جليل القدر ينسب إلى بيت عال، وتنال من قبله مالاً جزيلاً وخيراً كثيراً، وترزق من الأولاد بالفرد، وتنال من بعض أولادها مايسرها، ولكن يخاف عليها وعلى أولادها من العين والنظرة والقرنا والتوابع وأمهات الصبيان، فإن حصل لها شيء من ذلك فيكتب لها حجاب القفل ويبخر ببخور الأرياح، وتعلقه على طهارة تنجو بإذن الله والله أعلم. (**الوجه الثالث**) من نظرت إليها الشمس قال الحكيم: يخاف على صاحبة هذا الطالع من العاقة في الحبل مدة من الزمان، وربما تعقد فيها شهور وسنين معدة، وتنزل عليها بثقل بين الأكتاف ووجع في سلسلة الظهر، تبقى مثل الوحمانة وتحس بوجع السوة والسرة وبوجع أم أولادها، وتقوم تدوخ ثم إنها تروق فيكون سببها هفوة من الجن، فإن حصل لها ذلك الأمر يكتب لها حجاب القفل والبخور المذكور، وتعلقه على طهارة، يؤخذ لها الوصفة وهي أترج مغربي وتوتيا هندي وكمون كرماني، تدق الجميع وتغليهم في الزيت الطيب وتعملهم وصفتين، تتحمل بواحدة على الدم والأخرى بعد الطهر، فإنها تحبل بإذن الله، قال الحكيم: وقد ظهر لصاحبة هذا الطالع ثلاث إشارات بشارة وعمارة وحج بيت الله، ولابد لك من حصول مال ونوال إما من بيع أو ميراث أو من رجل جليل القدر، ولو كان في آخر العمر، وتنال العز والجاه ولابد لها من اشتغال بال وتعب قلب من قبل إنسان يكون بعيداً أو مريضاً أو مسافراً، فلا بد لها من الاجتماع به وتنال كلّ ما تؤمل وترتجيه، وتكون عاقبتها حميدة، لكن يخاف عليها من الأعداء والحساد أو من امرأة سمراء اللون محندقة العيون، فإنها تقف لها وتتكلم في حقها بكلام لاخير فيه، وهو باطل، ولكن الله ينجيها منها، ومن كل سوء، قال الحكيم: فإذا أرادت أن يكون لها صحبة ومودة يعقد عنها الألسن، فليكتب لها حجاب القفل ويبخر بالبخور المذكور، فإنه يكون أماناً مما ذكرناه والله أعلم.

(القول على الطالع السابع) وهو طالع كوكب القمر

قال الحكيم: الحجر والمدر والقمر وزحل نطقوا للنبي المفتخر، قال الحكيم: صاحبة هذا الطالع بنت حلال عندها الأمانة، قلبها أبيض، صافية النية والخاطر، كاملة العقل، شفوقة

على من تعاشره، تفعل الخير والمعروف مع من تعرفه ومن لاتعرفه، وأنت أيتها السائلة صابرة وصبرك لايضيع ولابد لك من عسر ويسر، وضيق وفرج، وصحة وسقَم؛ لأن العالم أطوار والفلك دوار وليس للعبد اختيار لافي الليل ولا في النهار، وإنما القدرة لله الواحد القهار، قال الحكيم: صاحبة هذا الطالع لابد لها من ثلاثة وجوه وثلاث علامات: **(الوجه الأول)** من نظرت إليها الزهرة قال الحكيم: يخاف عليها من الأمراض، ويعتريها وجع برأسها وجسمها، وخذلان في الأعضاء والمفاصل، وخفقان القلب، خصوصاً يخاف عليها من وجع العصب ومجامع الحزام، فيكون سبب ذلك أنها التمست بريح من أرياح الجن، فأصابها ذلك الأمر، قال الحكيم: فإن بانت فيها هذه الإشارة يكتب لها حرز الأقطار، ويعلق عليها ويكتب لها أسماء التهاطيل السبعة، تغتسل بهم بماء لاتراها الشمس والقمر فإنها تبرأ بإذن الله. **(الوجه الثاني)** من نظر إليها عطارد قال الحكيم تتزوج من الرجال بالفرد وترزق الأولاد بالزوج، وربما يخاف عليها من قيل وقال وضرب لسان بسبب أرضية أو دراهم عددية، أو من قبل رجل من بعض رجالها، وتقاسي بسبب ذلك مشقة عظيمة، ويخاف عليها من قوم يأكلونها ويألفون غيرها، ويجعلون أنهم أحبابها، وهي تحسن لهم وهم يسعون لها في القسم والأعمال الردية، ولكن الله ينجيها منهم والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظر إليها القمر قال الحكيم: يخاف عليها وعلى أولادها من العين والنظرة والقرنا والتوابع وأمهات الصبيان قال الحكيم: وقد دل هذا الكتاب على أنها ترزق من الأولاد بولد صالح يكون الفتوح على يديه وخصوصاً يخاف عليها أن تتعوق في بيت أولادها، وتعلق فيها شهوراً عددية، قال الحكيم: فإن بانت فيها هذه الإشارة فيؤخذ لها على بركة الله تعالى هذه الوصفة وهو عود صليب وعرق جناح، وغبار الطلع وكمون كرماني وخزامة ومرسيخ تدق الجميع وتغليهم في زيت طيب وتعملهم صوفتين، تتحمل منهم بواحدة على الدم، والأخرى بعد الطهر، فإنها تحمل بإذن الله والله أعلم. قال الحكيم: ويخاف عليها من شيء قد خرج من يدها، إما مال أو أنساب وتقاسي بسبب ذلك تعباً شديداً، وربما أنها تنتقل من مكان إلى مكان ويكون فيه الخير والصلاح، ولابد من حصول مال ونوال إما من بيع أو شراء أو ميراث، قال الحكيم: وإذا أردت أن يكون لها صحبة ومودة يرد عنها لسان الكبير والصغير فيكتب لها حجاب الأقطار، ويبخر بالبخور المذكور، ويعلق عليها، هو وأسماء التهاطيل السبعة وتتبخر بهم مع الكزبرة واللبان الذكر فإنها تبلغ المراد من رب العباد والله سبحانه وتعالى أعلم.